كتاب اليوم



أزمة كيسنجر

حرب أكتوبر وعملية السلام فى الشرق الأوسط

حسين عبد الواحد

دار
أخبار اليوم
قطاع الثقافة

كتاب اليوم

يصدر
أول كل شهر

رئيس مجلس الإدارة :
إبراهيم سعده

رئيس التحرير :
نبيل أباظة

فبراير ٢٠٠٣
عدد ٤٦١

أسعار كتاب اليوم الثقافى فى الخارج

الجماهيرية العظمى	٢	دينار
المغرب	٣٠	درهم
لبنان	٥٠٠٠	ليرة
الأردن	٢,٥٠٠	دينار
العراق	٧٠٠٠	فلس
الكويت	١,٧٥٠	دينار
السعودية	١٥	ريالاً
السودان	٣٢٠٠	قرش
تونس	٣,٥	دينار
الجزائر	١٧٥٠	سنتا
سوريا	١٥٠	ل. س
الحبشة	٦٠٠	سنت
البحرين	١,٥٠٠	دينار
سلطنة عمان	١,٥٠٠	ريال
غزة	٣	دولار
ج. اليمنية	٣٠٠	ريالاً
الصومال، نيجيريا	٨٠	بنى
السنغال	٦٠	فرنكا
الإمارات	١٥	درهماً
قطر	١٥	ريالا
انجلترا	٣	جك
فرنسا	١٠	فرنكات
ألمانيا	١٠	ماركات
إيطاليا	٢٠٠٠	ليرة
هولندا	٥	فلورين
باكستان	٢٥	ليرة
سويسرا	٤	فرنكات
اليونان	١٠٠	دراخمة
النمسا	٤٠	شلناً
الدنمارك	١٥	كرون
السويد	١٥	كرون
الهند	٢٥٠	روبية
كندا - أمريكا	٣٠٠	سنت
البرازيل	٤٠٠	كروزيرو
نيويورك - واشنطن	٣٥٠	سنتا
لوس انجلوس	٤٠٠	سنت
استراليا	٦	دولار

- العنوان على الانترنت

WWW. akhbarelyom. org\ketab

- البريد الالكترونى

akhbar el yom@akhbarelyom. org

● الاشتراكات ●

جمهورية مصر العربية

قيمة الاشتراك السنوى ٧٢ جنيها مصريا

● البريد الجوي ●

دول اتحاد البريد العربى ٣٣ دولارا

اتحاد البريد الافريقى ٣٨ دولارا

أوربا وأمريكا ٤٣ دولارا

أمريكا الجنوبية واليابان واستراليا

٥٣ دولارا أمريكيا أو ما يعادلها

- ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور
- ترسل القيمة إلى الاشتراكات

٣ (أ) ش الصحافة

القاهرة ت : ٥٧٨٢٧٠٠ (٥ خطوط)

- فاكس : ٥٧٨٢٥٤٠
- تلكس دولى : ٢٠٣٢١٠
- تلكس محلى : ٢٨٢
- قطاع الثقافة ٦ ش الصحافة
- تليفون وفاكس : ٥٧٩٠٩٣٠

كتاب اليوم

أزمة كيسنجر

حرب أكتوبر
وعملية السلام
فى الشرق الأوسط

حسين عبد الواحد



قبل أن تقرأ

أزمة كيسنجر

حرب أكتوبر

وعملية السلام

فى الشرق الأوسط

هناك البعض من رجال السياسة ومحترفى الدبلوماسية الذين يتعاملون مع القضايا الدولية والأزمات العالمية باعتبارها جزءاً من حركة التاريخ .. ولذلك فهم يرون أن دورهم الأساسى عند التعامل مع هذه القضايا والأزمات هو السعى لتسويتها فى اتجاه المسار الصحيح لهذه الحركة من أجل ضمان الوصول إلى نهايات طبيعية قادرة على الاستمرار والصمود فى مواجهة أية رياح عاتية أو عواصف شرسة تحاول عرقلة حركة التاريخ ..

وهناك أيضاً البعض الآخر من الساسة الذين تسيطر عليهم أوهام العظمة وتتضخم لديهم « الأنا » لدرجة التعامل مع حتميات التاريخ وقوانين الجغرافيا ، التى لا مفر من الخضوع لها ، باعتبارها متغيرات يمكن التلاعب فيها بقدر بسيط من العبقرية التى يتمتعون بها والقوى الخارقة التى يمتلكونها .!

وهكذا يتوهم هؤلاء أن لديهم القدرة على التحكم فى مقدرات الملايين من البشر ، وتغيير حدود الأمم والدول .. وربما أيضاً

السيطرة على انفجارات البراكين وحركة مياه البحار والمحيطات.. مداً وجزراً !

وهنرى كيسنجر ، أشهر الساسة الأمريكيين فى القرن العشرين ، نموذج نادر لهذا الطراز من محترفى العمل السياسى والدبلوماسى .. فمن أشهر المقولات التى إعتاد كيسنجر على ترديدها بين الحين والآخر قوله لأصدقائه وهو يضحك زهواً وفرحاً :

« أؤكد لكم أن الأسبوع القادم لن يشهد أزمة عالمية لسبب بسيط هو أننى سأكون فى إجازة !! » .

ولا شك أن كيسنجر لعبد أدواراً بارزة فى التعامل مع كثير من الأزمات العالمية .. ولكنه كان يفعل ذلك دائماً من موقع المسيطر على كل الأمور والذى يستطيع توجيهها فى أية ناحية يشاء !! وينطبق هذا الوضع بكل تأكيد على رؤية هنرى كيسنجر لدوره فى منطقة الشرق الأوسط ، حيث تشير تصريحاته ومقالاته ومذكراته العديدة حول هذه الأزمة إلى أنه ، دون أى محاولة من جانبه للتواضع ، كان هو الذى يصنع الأزمة .. وهو أيضاً الذى كان يضع لها الحلول !!

ويتجلى ذلك بكل وضوح فى أحدث كتب المذكرات التى أصدرها كيسنجر مؤخراً بعنوان (الأزمة) والذى لجأ فيه إلى أسلوب جديد لتأكيد سطوته وسيطرته على إثنتين من أخطر الأزمات التى شهدها العالم فى القرن العشرين .. الأزمة الأولى

هى حرب أكتوبر وبداية أول خطوات صنع السلام بين العرب وإسرائيل .. أما الأزمة الثانية فهى المرحلة الأخيرة من حرب فيتنام .

وهذا الأسلوب الجديد الذى لجأ إليه كيسنجر يمكن تشبيهه بما يفعله « الحاوى » عندما يفاجىء مشاهديه المبهورين من فترة لأخرى بإخراج أرنب من أحد أكمام قميصه أو ثعبان من جرابه !!

فقد أعتمد كيسنجر فى كتابه الجديد على بعض التسجيلات التى انتقاها بعناية من بين الاتصالات الهاتفية التى جرت بينه وبين مختلف الشخصيات الهامة داخل الولايات المتحدة وخارجها حول هاتين الأزمتين .

وهذه المرة اعتمد كيسنجر تماماً على أسلوب الانتقاء لكى يدعم وجهات نظره السابقة التى عبر عنها أكثر من مرة حول دوره كساحر يمسك فى يده بكل الخيوط ويبهر الآخرين بقدرته الخارقة على صنع المستحيل والإتيان بالمعجزات !!

ولكن القراءة الدقيقة المتأنية لكتاب كيسنجر الأخير (الأزمة).. ومقارنة ما تضمنته مادة هذا الكتاب بحقائق ووثائق أخرى حول نفس الموضوع ، تكشف بكل وضوح حقيقتين أساسيتين : الأولى أن كيسنجر ، وهو ساحر أو حاوى بارع بلا جدال ، قد حرص على تقديم بعض الحقائق التى تتفق مع الروايات الموضوعية الأخرى لنفس الأحداث بهدف اكتساب المصداقية اللازمة لتمرير أهدافه الأساسية .

والحقيقة الثانية ، أن الأزمة التى تحدث عنها هنرى كيسنجر خاصة فيما يتعلق بحرب أكتوبر ١٩٧٣ كانت فى واقع الأمر هى أزمته الشخصية أو الخاصة عندما اكتشف أن كل حساباته السابقة كانت خاطئة سواء فيما يتعلق برغبة العرب فى ، وقدرتهم على ، شن حرب لتحرير أراضيهم بالقوة .

وكان خطأ كيسنجر الكبير ، باعترافه الصريح هذه المرة ، هو فشله فى إدراك الأبعاد الحقيقية لشخصية أنور السادات قبل هذه الحرب ، حيث كان ينظر إليه باعتباره شخصية هامشية فى الأحداث وليس زعيما حقيقيا ورجل دولة من أرفع طراز وفقا لتعبير كيسنجر نفسه بعد حرب أكتوبر .

وهكذا ، فالأزمة التى يتحدث عنها كيسنجر فى هذا الكتاب ، ربما تكون أيضا هى أزمة سياسى عنيد يرفض الاعتراف بحقيقة أن دوره قد انتهى بعد أن بلغ الثمانين من العمر .. ويحاول ، كيهودى ، أن يبحث فى دفاتره القديمة عن وسيلة تعيده مرة أخرى من ظلمة الكواليس إلى خشبة المسرح ذات الرونق والبهاء.. والبريق !

حسين عبد الواحد



أزمة كيسنجر

حرب أكتوبر
وعملية السلام
فى الشرق الأوسط

تمهيد

بعد غياب عن الأضواء استمر لسنوات منذ نشر كتابه «الدبلوماسية» عاد وزير الخارجية الأمريكية الأسبق هنرى كيسنجر مرة أخرى إلى الأضواء بكتاب جديد يكشف من خلاله العديد من الأسرار الخاصة بالسياسة الخارجية الأمريكية خلال حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ بين العرب و إسرائيل .. هذه الأسرار ظلت طوال الأعوام الثلاثين الماضية طى الكتمان ولم يطلع أحد عليها. كما تناول كيسنجر فى كتابه الجديد أيضاً أزمة أخرى من أزمات السياسة الخارجية الأمريكية وهى تتعلق بالفصل الأخير من حرب فيتنام والهروب الأمريكى الفاضح من مدينة سايجون الفيتنامية والهزيمة الأمريكية على أيدى القوات الفيتنامية .

فى هذا الكتاب يطرح كيسنجر نفسه بصفته المحرك الأساسى للسياسة الخارجية الأمريكية فى هذه الفترة وهو طرح يحمل الكثير من الحقيقة . وتوضح الوثائق الرسمية التى حملها الكتاب أن كيسنجر لم يكن يتورع عن اتباع أى وسيلة مهما كانت من أجل خدمة أهداف السياسة الأمريكية فى تلك الفترة التى كان من

أهمها تقليص النفوذ السوفيتي في الشرق الأوسط وتقوية ثقة العرب في مفاوضات السلام التي تقودها الولايات المتحدة الأمريكية .

ويحمل كتاب هنري كيسنجر الجديد عنوان « الأزمة - تشريح وتحليل اثنتين من أزمات السياسة الخارجية » Crisis : The Anatomy of Two Foreign Policy Crises.

ويدخل هذا الكتاب بالتأكيد في إطار كتب المذكرات التي يكتبها المشاهير وصناع القرار حول مراحل مختلفة من حياتهم ويكشفون فيها أخطر الأسرار التي أتيح لهم الإطلاع عليها والمشاركة فيها خلال هذه المراحل .

وقد كتب هنري كيسنجر من قبل العديد من الكتب التي تضمنت ما لديه من ذكريات حول مختلف القضايا العالمية والأمريكية التي شارك فيها سواء خلال توليه منصب مستشار الأمن القومي الأمريكي أو وزارة الخارجية .

وكتاب « الأزمة » يتناول جزءاً محدداً من أفكار وانطباعات ووثائق كيسنجر بخصوص أزمتي الشرق الأوسط وفيتنام اللتين شارك فيهما بدور أساسي ولعب أخطر الأدوار .

وقد حرص كيسنجر طوال الثلاثين عاماً الماضية على الاحتفاظ بوثائقه حول هاتين الأزمتين في مكتبة الكونجرس الأمريكي .. ووصل حرصه ذلك إلى حد أنه أوصى بعدم الكشف عنها أو السماح لأحد بالإطلاع عليها إلا بعد مرور خمس سنوات على وفاته !!

والمثير أن كيسنجر طلب أيضاً عدم السماح للمجلس القومي

الأمريكى للوثائق « دار المحفوظات الرسمية » بالحصول على أى نسخة من هذه الوثائق السرية وهو مـا يزيد الشكوك حول طبيعة محتواها .

وقد وصف كيسنجر هذه الأوراق بأنها « خاصـة » وتتضمن المحادثات المباشرة والتليفونية التى كان هو أحد أطرافها .

باختصـار ، بذل كيسنجر كل جهوده ومـارس أقصى ما لديه من نفوذ لكى تبقى هذه الوثائق الخطيرة حكراً عليـه وليس من حق أحد غـيره أن يعرف شـيئاً عن مـحتواها أو مـضمونهـا قبل الموعد الذى حدده بنفسه وهو مرور خمس سنوات على وفاته !!

ولا شك أن الكثـير من التفـاصيل التى يذكـرها كيسـنجر فى كتابه قد أعلنت بالفعل من قـبل عبر مصادر أخرى . ولكن أن يتم الكشف عن هذه الأحـداث والتطورات عن طريـق كيـسنجـر ومن خلال الوثائق السرية الأمريكية يضيف لها الكثير من المصداقية.

وأبرز مثـال على ذلك ما تكشفـه وثائق كيسنجـر حول الدور الأمريكى خلال مـرحلة الحرب العربية - الإسرائيليـة فى أكتوبر ١٩٧٣ ، فقـد أوضح كيسنجر بما لا يدع مـجالاً لأى شك حقيـقة الدور الذى لعـبه هو شخـصيـاً وجميـع المسئولين فـى الحكومة الأمـريكيـة بما فى ذلك الرئيس الأمـريكى نفسـه من أجل إنقـاذ إسـرائيـل من هزيمـة ثقـيلة فى حـرب ١٩٧٣ . وتؤكـد وثائق كيسنجـر أن الولايات المتحدة حشدت كل قواها الدبلومـاسية على الساحـتين الإقليـمية والدولية من أجل تفادى إمكانيـة أن يحقق العرب نصراً حاسماً ونهائياً على إسرائيل .

ومن أجل تحقيق هذا الهـدف استجاب كيـسنجر لنداءات الذعر

والخوف التى وجهها المسئولون الإسرائيليون لواشنطن فى اللحظات الأولى من حرب أكتوبر يطلبون النجدة حتى لو تطلب ذلك تدخل القوات الأمريكية فى الحرب .

وقد يرى البعض أن كيسنجر ليس بالشاهد النزيه أو المحايد الذى يمكن أن نعتد بشهادته خاصة فيما يتعلق بتطورات الصراع العربى - الإسرائيلى .. فهو اليهودى المتعصب لإسرائيل .. وهو السياسى الاستعمارى الذى لا يقر بحق الشعوب فى الحرية والاستقلال .. وهو رمز لمدرسة سياسية تتجاوز فى تدنيها أخطر المدارس التاريخية فى هذا المجال مثل الميكافيلية .

ورغم ذلك ، تبقى حقيقة أن الوثائق التى كشفها كيسنجر فى هذا الكتاب هى أقرب ما تكون إلى الاعتراف الذى يدلى به رجل انحسرت عنه الأضواء وأوشك أن يتوارى فى غياهب التاريخ .



أزمة كيسنجر

حرب أكتوبر
وعملية السلام
فى الشرق الأوسط

حريق الشرق الأوسط

■■ فى صباح يوم الأحد الموافق السابع من أكتوبر عام ١٩٧٣ أى فى اليوم الثانى للحرب اتصل الجنرال ألكسندر هيج رئيس هيئة العاملين فى البيت الأبيض بكيسنجر وسأله : هل أصيب الإسرائيليون بالرعب ؟

وكان رد كيسنجر : نعم أنهم كذلك تقريبا . ■■

فى ساعة مبكرة من صباح يوم السبت السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ وفى الوقت الذى كان الإسرائيليون يحتفلون فيه بيوم الغفران كان وزير الخارجية الأمريكى فى ذلك الوقت هنرى كيسنجر يقضى عطلة نهاية الأسبوع فى إحدى الغرف بفندق من فنادق نيويورك . وقد أبلغوه أن رئيسة وزراء إسرائيل جولدا مائير حذرت الأمريكيين بصورة سرية من اعتزام المصريين والسوريين شن حرب مفاجئة على إسرائيل .

فهل كان يمكن لأمريكا إجهاض الهجوم بإبلاغ العرب بنوايا إسرائيل وبأنها لا تعتزم شن أى عدوان عليهم ؟

كان هنرى كيسنجر قلقا من أن الأمريكيين الذين ينحازون لإسرائيل قد يدخلون فى مواجهة مع السوفيت الذين سيدعمون حلفاءهم العرب . لذلك فقد اتصل بالسفير السوفيتى فى واشنطن أناتولى دوبرنين ودار بينهما الحوار التالى :

كيسنجر :

أبلغنا الإسرائيليين أن مصر وسوريا تخططان لشن هجوم

عليها خلال وقت قصير وأنه تم إجلاء الرعايا السوفيت من دمشق والقاهرة . فهل السبب فى إجلاء الرعايا هو الخوف من هجوم إسرائيلى ؟ لذلك فإن الإسرائيليين طلبوا منا أن نبلغكم ونحن أيضا نطلب منكم أن تبلغوا العرب بأن إسرائيل لا تعتزم شن أى هجوم ضدهم .. ولكن إذا ما شن المصريون والسوريون هجوما ضد إسرائيل ، فإن إسرائيل سترد على الهجوم بمنتهى القوة . ولكن الإسرائيليين سيكونون مستعدين للتعاون من أجل تخفيف التوتر العسكرى .. والرئيس «نيكسون» يعتقد أنكم وكذلك نحن نتحمل مسئولية خاصة فى كبح جماح أصدقائنا .. وإذا استمر هذا التصعيد .. فسوف تشتعل الحرب .

وبعد قليل وفى صباح نفس اليوم قال كبير موظفى البيت الأبيض **ألكسندر هيج** إن الرئيس سوف يعود بصورة مفاجئة من استراحته الخاصة فى فلوريدا إلى واشنطن . وفى الوقت نفسه كان نيكسون الذى بدأ يعانى فضيحة ووترجيت يمارس ضغوطا سرية على نائبه سبيرو أجنيو لكى يستقيل بسبب تورطه فى فضائح مالية . وهنا شعر كيسنجر بالقلق من احتمال أن تنقل هذه العودة المفاجئة للرئيس نيكسون رسالة خطأ إلى السوفيت بشأن الموقف فى الشرق الأوسط حيث اتصل بالكسندر هيج ليدور بينهما الحوار التالى :

هيج :

من الممكن أن تعلن أن عودة نيكسون تتعلق بقضية نائب الرئيس. فلا يمكن أن يظل الرئيس يستمتع بالشمس فى منتجع «كى بسكاين» فى الوقت الذى يجرى فيه ما يجرى مع نائب الرئيس .

كيسنجر :

يجب تأجيل عـودته لفتـرة من الوقت .. افترض أن السـوفيت تشـددوا فى موقـفهم .. فـستكون عـودة الرئيس فى ذلك الوقت خطوة جـيـدة . ولكن إذا عـاد مبكرا فـقـد تبـدو العـودة تحركـا هسـتيـريا من جـانب الإدارة الأمـريكية . المطـلوب أن يتم تعليق الأوضاع حتى تحدث الحركة الأولى فى هذا الصباح .

فـحـتى الآن كـان الأفـضـل ألا تلعب أو تـتـعـامل مع الموقف باعتباره أزمة . وبدلا من أن نقول أى شىء يمكن أن نتحرك بقوة بدون أن نوتر الأجواء .

وخلال اتصال تليـفونى وجد كيسنجر مـوردخاى شاليف نائب رئيس البعثة الدبلوماسـيـة فى السفارة الإسرائيلية فى واشنطن يتـابع طقوس يوم الـغـفـران « يوم كـيـبور وتبـادلا الحديث التالى »

كيسنجر :

كيف حالك ؟

شاليف :

جوعان .

كيسنجر :

أليس مسموحا لك من الناحـيـة الدينية أن تأكل وقت الأزمات ؟ وماذا عن الطيارين الإسرائيليين ؟ المفترض أن يأكلوا .

شاليف :

لا تقلق هنـاك أوضـاع خـاصـة لمثل هذا الـنوع من المواقف .

وطوال هذا اليـوم كـان كـيـسنجـر يحاول الاتـصـال بالـسـفـيـر

السوفيتى فى واشنطن والمسئولين السوفيت فى موسكو من أجل الانضمام إلى الأمريكيـين فى الدعوة إلى وقف إطلاق نار عربى - إسرائيلى والعودة إلى خطوط ما قبل الحرب .

ثم قدم تعـهدا بأن يقـوم الأمريكيـون والسوفيـت بعد ذلك بالضـغط علـى جـانبى الصـراع من أجـل التـفـاوض حـول الخلافات والتـهديد بأنه إذا لم يتعاون أطـراف الصراع ، فإن الأمـريكيين والـسوفـيت يمكنهم اسـتخـدام الضـغط من أجل تحقـيق الهدف واتصل بالسـفير السـوفيتى دوبـرنين ليدور الحوار التالى بينهما .

كيسنجر :

نستطيع أن نترك الحـرب مستمرة حتى لحظة حـاسمة عندما يتمكن الإسـرائيليون من دفع القـوات العربية إلى الـتخلى عن كل بوصة من الأراضى التى سـيطروا عليها فى البداية وقـبل أن تبدأ القوات الإسرائيلية فى التحرك إلى دمـشق . وإذا كنا محظوظين واقتنصنا هذه اللحظة بالضبـط فإننا نستطيع وقف إطلاق النار.. هل تسـتطيع إنـكار أنه لا بد من بذل جـهـد لبـدء المفـاوضـات ؟ «العرب» أثبتوا وجهة نظرهم «وكـشفوا» عن أهمية المفاوضات من وجهة نـظرهم . وقد كانت هذه لحظة نفسـية جيدة بالنسـبة لهم لكى يبعثوا بتلميح ذكى بدلا من الانتظار حتى يروا نتائج حربهم. وعموما فلن يأتى مساء يوم الاثنين إلا وتكون إسرائيل قد طردت كل القوات إلى مواقعها السابقة .

دوبرنين :

« ولكن العرب سيقولون لنا » « أنـكم تتآمرون مع الأمريكيين والإسرائيليين » .

كيسنجر :

إذا توصلنا نحن وأنتم إلى طريقة لتسوية هذا الأمر الآن فسيكون هذا طرحا قويا لسياسة الوفاق.. ولكن إذا سارت الأمور على نحو مختلف فسوف نذهب نحن وأنتم يوم الاثنين إلى الأمم المتحدة وستصبح الأمم المتحدة ساحة للخطابة ونتبادل الاتهامات. وسيكون ذلك كارثة . يجب أن نكون أكثر تشدداً وسأكون قاسياً جداً يجب أن تتم تسوية الأمر قبل ذلك أو على الأقل الوصول إلى تفاهم .

فى صباح يوم الأحد السابع من أكتوبر طلب المسئولون الإسرائيليون إمدادات عسكرية أمريكية فتحدث كيسنجر مع هيج عبر التليفون ليقول له هيج :

هيج :

هل أصيب الإسرائيليون بالرعب ؟

كيسنجر :

أنهم كذلك تقريبا . وهم يريدون الحصول على بعض المعدات التى وافق عليها الرئيس وأعتقد شخصيا أنه يجب إعطاؤهم بعض ما يريدون . إذا انتصر العرب فسوف يكون مستحيلا التعامل معهم ولن تكون هناك مفاوضات . وإذا ما تشددنا مع الإسرائيليين هذه المرة ، فلن يستمعوا إلينا بعد ذلك . وإذا ما تخلينا عنهم فى هذا الوقت فلن يكون لديهم ما يخسرونه .

واتصل كيسنجر بالرئيس نيكسون ليبلغه بأن الإسرائيليين لن يقبلوا أى وقف لإطلاق النار إذا لم ينسحب العرب إلى خطوط ما قبل الحرب وهذا نص المحادثة التليفونية .

كيسنجر :

إننا نمضى نحو الجحيم حيث سنجد أنفسنا مضطرين لاستخدام الفيتو فى مجلس الأمن الدولى ضد رغبة جميع الأعضاء على قرار يطالب بوقف إطلاق النار . ونحن لدينا رسالة تقول إنهم يطلبون المعدات التى يريدونها يوم الأربعاء أو الخميس ولكنهم لن يقبلوا وقف إطلاق النار قبل رد القوات العربية إلى مواقعها السابقة . ووجهة نظرى هى أنه يجب ألا نختلف مع إسرائيل أثناء هذه الأزمة وربما نستطيع أن نفعل ذلك فيما بعد على أساس أن إسرائيل سيكون لديها فى ذلك الوقت ما تخسره .

نيسكون :

لا نريد أن نبدو منحازين تماما لإسرائيل فى مواجهة الدول العربية البترولية . فعلى الرغم من أن هذه الدول العربية البترولية لا تشارك فى الحرب إلا أنها قد تختلف معنا . إن العلاقات العامة مهمة بصورة رهيبة . يجب أن نترك الأمر للأمم المتحدة حيث يمكن لسفيرنا هناك جون سكالى أن يفعل الكثير دون أن يسبب لنا مشكلات .

وفى ظهيرة ذلك اليوم هاج كيسنجر بسبب عدم رد موسكو على اقتراح توجيه نداء أمريكى - سوفيتى مشترك لوقف إطلاق النار والانسحاب إلى خطوط ما قبل الحرب وتحدث فى هذا الأمر مع هيج عبر التليفون ليتبادلا الحوار التالى :

كيسنجر :

بدأت أعتقد أن أولاد العاهرة فى موسكو يراوغوننا . ونحن نتلقى استغاثات متكررة من الإسرائيليين لتزويدهم بصواريخ

سايدويندرز وما زالت وزارة الدفاع تراوغ فى تلبية الاستغاثة .

هيج :

يمكنك أن تقول لهم إن الرئيس هو الذى أمر بذلك .

كيسنجر :

الفكرة تقوم على أساس نقل الأسلحة إلى قاعدة جوية وتقوم طائرات شركة العال الإسرائيلية بنقل هذه الأسلحة بدون أن نلفت انتباه أى شخص .

فى مساء اليوم نفسه جرت محادثة تليفونية بين كيسنجر ونيكسون ، عندما قال كيسنجر إن الإسرائيليين يقاومون بضراوة . قال نيكسون إنه إذا استطاع هو وكيسنجر تحقيق وقف لإطلاق النار فسوف يعطى ذلك للرئيس نجاحا يحتاج إليه بشدة على صعيد السياسة الخارجية فى ظل فضيحة ووترجيت وهذا نص المحادثة .

كيسنجر :

الإسرائيليون يحاربون بشكل جيد .

نيكسون :

الشىء المطلوب الآن هو وقف الحرب . وسيكون هذا إنجازاً عظيماً ، واحداً من أعظم الإنجازات على الإطلاق . وسيعتقد الشعب الأمريكى أن الرئيس الأمريكى قوى جداً .

كيسنجر :

أعتقد أن الوقت مبكر قليلاً على حديث مثل هذا . ويمكن للإنسان عادة أن يشتم رائحة الخطر عندما يكون قريباً . وأعتقد أن الموقف سيتضح يوم الأربعاء أو الخميس .

نيكسون :

لماذا لا تأتى إلى البيت الأبيض لنناقش هذا الأمر ويمكنك أن تعلن ذلك .

وفى ظهيرة يوم السبت الثالث عشر من أكتوبر وبعد أسبوع من بدء الحرب واجهت جهود كيسنجر من أجل عدم تحول الحرب إلى مواجهة بين القوتين العظميين صعوبات شديدة فأجرى الحوار التالى عبر الهاتف مع دوبرنين .

كيسنجر :

أناتولى ، تحدثت للتو مع الرئيس وطلب منى أن أبلغكم أنه فى ظل هذه الظروف لم يعد هناك مفر من التخلى عن القيود التى سبق أن تعهدنا بها لكم والخاصة بمنع تحليق الطيران الأمريكى فى سماء المعركة ، ونحن مستعدون لوقف الإمدادات الجوية عندما تكونون مستعدين للتوقف .

دوبرنين :

سوف أرسل هذه الرسالة إلى موسكو على الفور .

فى الرابع عشر من أكتوبر قدم كيسنجر تقريرا إلى نيكسون ودار بينهما الحديث التليفونى التالى :

كيسنجر :

المصريون يطالبون بالعودة إلى حدود ١٩٦٧ . وهذا مطلب خارج أى نقاش فى الوقت الراهن إلا فى حالة ما إذا منيت إسرائيل بهزيمة كبرى فى هذه الحرب . ولكن يجب أن يتحقق هذا المطلب المصرى من خلال المفاوضات التى تعقب هذه الحرب .

نيكسون :

بالنسبة للروس ، فإنهم يدركون جيداً أن الولايات المتحدة لم تحاول الضغط على إسرائيل بصورة فعلية أو كافية وهم يعلمون أننا كنا نراوغهم طوال الوقت . يجب علينا أن نضغط على إسرائيل عندما تقترب اللعبة من نهايتها ويجب أن يعلم الروس ذلك . يجب أن نضغط عليهم بقوة .

يوم السادس عشر من أكتوبر ووسط استمرار المعارك أدرك نيكسون الذى كان يمكن أن يفوز بجائزة نوبل للسلام لولا فضيحة ووترجيت وحصل عليها وزير خارجيته هنرى كيسنجر والمفاوض الفيتنامى لى دوك تو أن حرب أكتوبر فرصته لتجاوز إحباطاته ودار الحوار التالى بينه وبين كيسنجر عبر التليفون .

نيكسون :

أريد أن أهنئك .

كيسنجر :

أنا أعلم تماما الشخص الذى يستحق هذه الجائزة ، وقد قلت لكل شخص التقيت به أنه علىَّ أن أشكرك من أجل إتاحة الفرصة لى وقبل كل شيء لـلقيادة التى خلقت هذه الظروف لكلى أحصل على الجائزة .

نيكسون :

حسنا حسنا . كنت أود أن اقترح أن تأتى إلى هنا فى المكتب البيضاوى بالبيت الأبيض ونلتقط الصور وأنا أهنئك . وقد يكون ذلك شيئا جيدا بالنسبة لك .

في نفس اليوم شعر كل من كيسنجر ونيكسون بالاستياء من المناشدة العلنية التى تقدم بها عضو مجلس الشيوخ الديموقراطى مايك مانسفيلد وهو زعيم الأغلبية الديموقراطية لإنهاء القتال فى الشرق الأوسط وناقشا الأمر بينهما فى الحوار التليفونى التالى :

نيكسون :

ما رأيك فى الاقتراح الذكى الذى تقدم به مانسفيلد والذى يطالب بعقد مؤتمر قمة يضم قادة بريطانيا وفرنسا واليابان والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ؟ . وما هو الاسم الذى تقترحه لمثل هذا المؤتمر .

سيدى الرئيس هذا الاقتراح سوف يقتلنا . سنكون نحن والإسرائيليون ضد ست دول أخرى . هذا غير معقول !!

نيكسون :

إن الأمر يشبه تماماً الموقف فى فيتنام . فأصدقاؤنا الديموقراطيون يرون أن الحرب تنتهى ويحاولون الظهور فى الصورة . إنهم يطالبون بوقف هذه الحرب .

يوم التاسع عشر من أكتوبر دعا الرئيس السوفيتى ليونيد بريجنيف كيسنجر لزيارة موسكو لتسوية الخلافات بين الجانبين بشأن شروط وقف إطلاق النار . وقال كيسنجر لدوبرنين إن نيكسون وافق على تلبية تلك الدعوة حيث دار الحوار التالى بين كيسنجر ودوبرنين .

كيسنجر :

تفهم أن هذه الخطوة سوف تخلق لنا صعوبات كبيرة من

جانب المؤيدين لإسرائيل بالإضافة إلى المحافظين الذين تسيطر عليهم الشكوك تجاه سياسة الوفاق . وأعتقد أنه من المهم أن نعلن أن هذه الزيارة تتم بدعوة رسمية من الحكومة السوفيتية . ونحن نفترض أنه لن تقع أى أعمال من جانب واحد أثناء هذه الرحلة . لا تهديدات عسكرية . وأنا افترض أن كل منا سيعمل على تهدئة الموقف . ولا أعتقد أننا نستطيع التوصل إلى اتفاق نهائى أثناء وجودى فى موسكو . ولكننى سيكون بوسعى بالتأكيد التفاوض حول شروط وقف إطلاق النار .

دوبرنين : موافق .

كان نيكسون يريد استغلال زيارة كيسنجر إلى موسكو للفت انتباه الرأى العام الأمريكى بعيدا عن أسوأ مراحل فضيحة ووترجيت . فى هذه اللحظة وبمساعدة من جانب عضو مجلس الشيوخ الديموقراطى جون ستينيس كان الرئيس نيكسون يحاول الوصول إلى حل وسط أو اتفاق مع الكونجرس لتفادى الكشف عن محتوى الشرائط المسجلة السرية الخاصة بفضيحة ووترجيت .

وقد كان الرجل على وشك إصدار قرار بإقالة المدعى الخاص أرشيبالد كوكس الذى كان يطالب بمراجعة هذه التسجيلات وهو ما كان سيثير دعوة من جانب الكونجوس ضده بانتهاك القوانين والدستور . وجرت مناقشة الأمر فى الحوار التليفونى التالى :

هيج :

الرئيس يريدك أن تسافر وتعلن عن الرحلة الليلة .

كيسنجر :

مستحيل .. نحن قلنا للسوفييت أننا سنعلن عنها فى الثانية صباحاً . ومتى يريدنى أن أفعل ذلك ؟

هيج :

بمجرد أن ننتهى من مشكلة الاتفاق مع السيناتور ستينس . عموماً يمكن أن يتم ذلك خلال الفترة من السادسة وحتى الثامنة مساء . وسوف ندعو إلى مؤتمر صحفى فى البيت الأبيض لنعلن أنه أرسلك فى هذه المهمة بعد التشاور مع الرئيس السوفيتى بريجينيف .

كيسنجر :

لماذا يجب أن يفعل ذلك ؟

هيج :

أولا لأنه يشعر بأنه من المفيد الإعلان عن ذلك فى الوقت الذى يتم فيه الإعلان عن الاتفاق الخاص بالكشف عن تسجيلات ووترجيت .

كيسنجر :

هل يريد أن يتم الحدثان فى الوقت نفسه ؟

هيج :

نعم ..

كيسنجر :

كارثة .. رأيى بأمانة أن هذه العملية ستبدو محاولة رخيصة . فالأمر سيبدو وكأننا نستخدم السياسة الخارجية للتغطية على شئ محلى .

هيج :

الشيء المحلى ليس مثيراً للجدل ، فالاتفاق الذى تم التوصل إليه مع الديموقراطيين تسوية جيدة . كما أنه سيبدو مثيراً للقلق بالنسبة له أن يتم الإعلان عن الاتفاق بشأن قضية محلية وتجاهل أنباء زيارتك لموسكو فى الوقت الذى يريد فيه الجميع معرفة مستقبل الشرق الأوسط . أنا لا أرى أنها محاولة مدبرة للتمويه .

كيسنجر :

أنا لن أقوم بالربط بين السياسة الخارجية وفضيحة ووترجيت. وسوف تندم على هذه الخطوة بقية حياتك . أنا فعلا متعاطف معكم . فالرئيس نيكسون سيضع هيبته على المحك فى هذا الموقف .

الآن السوفيت دعونا لزيارة موسكو . وعلينا أن نقوم بالزيارة بطريقة عاقلة وليس بدعوة رجال الإعلام إلى مؤتمر صحفى فى منتصف الليل . وما زال هذا الحدث مهما بالفعل ولكن ليس لدرجة أن يعلن عنه الرئيس شخصيا فى مؤتمر صحفى على الهواء . فإذا أصر الرئيس على ذلك فسوف نفعل ذلك ولكننى أعتقد أنه سيندم على ذلك .

هيج :

حسنا سوف أرى ما يمكننى عمله .

أثناء الحديث مع دوبرنين حول رحلته إلى موسكو . دخل كيسنجر معه فى حرب ساخرة حيث جرى الحديث على النحو التالى :

دوبرنين :

هل أبلغهم أنك ستحضر على طائرة ركاب عادية ؟

كيسنجر :

قل لهم إنني سوف أذهب إليهم على متن قاذفة قنابل طراز بى ٥٢ .

دوبرنين : يضحك .

يوم ٢٣ أكتوبر يشكو السفير الأمريكي سكالي لكيسنجر من أن المندوب السوفيتي في الأمم المتحدة ياكوف مالك يثير المشكلات حيث جرى هذا الحوار .

سكالي :

مالك يتصرف وكأنه شخص أبله .

كيسنجر :

قل لمالك أن يهدأ . وقل له أن يضع لسانه داخل فمه وإلا فسوف أرسله وراء الشمس في سيبيريا . فأنا أعرف بريجنيف أكثر مما يعرفه مالك .

٢٤ أكتوبر بعث بريجنيف برسالة إلى نيكسون يهدد بعمل عسكري سوفيتي لفك الحصار المفروض على الجيش الثالث المصري ولكن كيسنجر اتصل بالسفير السوفيتي في واشنطن ليدور بينهما هذا الحوار .

كيسنجر :

لقد عقدنا اجتماعا لمناقشة رسالتكم . أنا فقط أريد أن تعلم أن أي تحرك من جانب واحد بدون أن نحصل على فرصتنا ، فسيكون الأمر خطيراً للغاية .

دوبرنين :

نعم ، اتفقنا .

كيسنجر :

هذه مسألة مثيرة للقلق للغاية . لا تضغطوا علينا . أريد أكرر أن ذلك مرة أخرى لا تضغطوا علينا .

دوبرنين : حسنا اتفقنا .

وبعد ساعات قليلة بعث كيسنجر عبر نائبه الجنرال برنت سكوكروفت برسالة إلى دوبرنين .

قل له أن يتوقفوا عن أى تحرك حتى نرد عليهم . وقل له إنك غير مفوض بتقديم أى رد . وأنني فى اجتماع ولا أستطيع تركه وأنهم سيتحملون العواقب الوخيمة لأى تحرك أحادى من جانبهم. وإذا ذكر أى شىء فقل له إن لديك تعليمات ألا تعلق بأى شىء . وهم سوف يدركون تماماً أننا نقصد ما نقول .

فى اليوم التالى وبعد التأهب العسكرى الأمريكى سحب السوفيت التهديد . وسادت مشاعر السعادة كل من نيكسون وكيسنجر حيث جرى بينهما الحوار التالى :

كيسنجر :

لقد تحدث الكثير من الصحفيين ووسائل الإعلام عن أزمة الشرق الأوسط ودورك فيها وهذا أمر جيد جدا بالنسبة لك .

نيكسون :

قارن ذلك بما حدث أثناء المواجهة مع كوبا « أزمة الصواريخ الكوبية عام ١٩٦٢ » حيث لم يتصل الروس على الإطلاق بكيندى للمطالبة بإنهاء المواجهة على الرغم من أن أمريكا كانت تتفوق

عليهم بنسبة ١:١٢ فى الأسلحة النووية وكان ذلك اختبارا رهيباً للأعصاب .

كيسنجر :

لقد حققنا نصراً عظيماً بلا شك .

نيسكون :

الطريقة التى تفاوضت بها كانت رائعة ولذلك فأنت فى حاجة إلى النوم الليلة والحصول على قسط من الراحة حتى توجه لهم غداً الضربة القاضية .

يوم ٢٧ أكتوبر كان كيسنجر يحكى ما حدث لوزير الدفاع الأمريكى فى ذلك الوقت جيمس شيلزنجر . كان كيسنجر يرتب لأول مفاوضات مباشرة بين مفاوضين مصريين وإسرائيليين مقابل تزويد الجيش الثالث المصرى المحاصر بالأغذية والأدوية وكان هذا نص الحوار بين الوزيرين .

كيسنجر :

أعتقد أن الإسرائيليين يصرون على ضرورة ألا يتولى المصريون قيادة الشاحنات التى تحمل الإمدادات وإنما يتولى سائقون تابعون للأمم المتحدة قيادة هذه الشاحنات وهو أمر مقبول لدى المصريين .

شيلزنجر :

هذا شىء رائع .

كيسنجر :

والآن أنا لا أعرف إلى مَنْ ننسب الفضل .

شيلزنجر :

امنحوه للرئيس فهو فى أشد الحاجة لذلك .

فى اليوم التالى ، كتب كيسنجر يقول إن مسئولين عسكريين مصريين وإسرائيليين عقدوا أول محادثات مباشرة بينهما منذ ٥٢ عاماً تحت رعاية الأمم المتحدة . كما وافقت مصر على إجراء المزيد من المفاوضات للاتفاق على ترتيبات دائمة . وعلى الرغم من أن هذا لم يكن شيئاً كبيراً إلا أنه كان يعنى بدء المفاوضات على أية حال . ***ولم يلبث الأمر أن تحولت هذه الترتيبات إلى عملية لا يمكن وقفها أسفرت بعد ذلك عن اتفاق لفض الاشتباك الأول بين المصريين والإسرائيليين عام ١٩٧٤ ثم اتفاق سياسى فى سبتمبر عام ١٩٧٥ ثم معاهدة سلام عام ١٩٧٩ بين المصريين والإسرائيليين التى ما زالت سارية حتى اليوم .***





أزمة كيسنجر

حرب أكتوبر
وعملية السلام
فى الشرق الأوسط

اعترافات إسرائيلية

■■ اجتمع وزير الدفاع موشيه ديان يوم الأربعاء ١٠ أكتوبر مع رؤساء تحرير الصحف الإسرائيلية اليومية واعترف أمامهم بالفشل قائلا : « لا توجد لدينا الآن القوة الكافية لكى نقذف بالمصريين إلى ما وراء القناة .. وأقول لكم بصراحة لقد بات واضحا أمام العالم كله أننا لسنا أقوى من المصريين » . ■■

لم يكن اعتراف كيسنجر وزميله الجنرال ألكسندر هيج بأن إسرائيل أصيبت بالهلع بعد الهجوم المصرى - السورى فى أكتوبر ١٩٧٣ مجرد تقدير خاص لاثنين من المسئولين الأمريكيين بشأن حالة إسرائيل فى ذلك الحين . فقد اعترف الإسرائيليون أنفسهم بما فى ذلك قادة الجيش الإسرائيلى الذين شاركوا فى الحرب بأن ما حدث لهم فى أكتوبر قد فجر لديهم كل مشاعر القلق والفزع والرعب . وقالوا إن الجيش الإسرائيلى أصيب بحالة مروعة من الارتباك إثر مفاجأة الهجوم المصرى - السورى .

ومن أبرز الاعترافات الإسرائيلية بهذا الشأن ما كشفه عمير بورات ، أحد ضباط الاتصال ، الذى عمل إلى جانب الجنرال شموئيل جونين الملقب بـ «جوردوش» ، واحتفظ معه بتسجيلات صوتية للمحادثات التى جرت بين القادة ، بدءا بوزير الدفاع موشيه ديان ورئيس الأركان ديفيد إليعازر ، وحتى الضباط الميدانيين ، وكان هدفه من النشر تبييض صفحة قائده ،

جوردوش الذى تم تلبيسه ملف الهزيمة وخلع من منصبه كقائد للواء الجنوبى . لكنه فى الواقع كشف عن عمق صدمة الجنرالات الإسرائيليين وربكتهم وعن الزهو الذى كانوا يعيشونه ، ومن خلاله الاستهتار بالعرب وبقدراتهم حتى عندما وصلت إليهم معلومات دقيقة عن الهجوم المتوقع ، كما كشف عن عمق (حرب الجنرالات) فى ذلك الوقت ، وكيف استحكمت الخلافات الشخصية وأثرت على نتائج المعركة ، وكشف خلال ذلك أن التوتر والعداء بلغ حدا ، خطط جوردوش فيه أن يطلق الرصاص على ديان ويقتله .

وإحدى أهم النتائج التى يمكن استخلاصها مما كشفه بورات أن رئيس الوزراء الحالى اريل شارون ، الذى كان قد أعفى من منصبه كقائد للواء الجنوبى فقط قبل ثلاثة أشهر من الحرب وعاد إلى الخدمة الاحتياطية وتولى القيادة المباشرة لأحد الألوية فى الجيش ، كان محورياً فى هذه الحرب .. فقد خرق الأوامر وتمرد على الخطة العسكرية التى وضعتها رئاسة الأركان وأغلق الهاتف لكيلا يسمع أوامر جديدة ، فى مرحلة معينة ، ثم اخترق خطوط الهجوم المصرية واجتاز قناة السويس فى العملية التليفزيونية المعروفة بثغرة الدفرسوار .

ويتضح من هذه التسجيلات أن الجيش الإسرائيلى كان يخشى من الهجوم السورى فى الجولان ، حيث تقدمت القوات حتى حدود ١٩٦٧ ، وحررت معظم أراضى الجولان ، وخافوا من أن تتابع القوات السورية تقدمها ووصلت الأوامر للجنود أن يتركوا الجرحى فى الميدان حتى يقعوا فى الأسر ولا يشكلوا عائقا أمام

الانسحاب من المواقع الخطيرة .

واستمرت هذه الحالة إلى حين تم صد الهجوم السورى إلى الوراء وتم وقف تقدم القوات المصرية.

وبعدها ، شكلت إسرائيل لجنة تحقيق رسمية فى أسباب الفشل ، وبعد أربع سنوات من تلك الحرب ، سقط حزب العمل عن الحكم لأول مرة وتسلم الحكم حزب الليكود بزعامة مناحم بيجين (١٩٧٧) وشغل فيها شارون منصب وزير الدفاع ، ولم تمر عليه سوى ٥ سنوات ، حتى تورط فى حرب أخرى هى حرب لبنان ، فاستمر شارون فى أسلوبه المخادع يومها ، وقال إن الحرب ستستغرق ٤٨ ساعة ، وإنه سيدخل إلى عمق ٤٠ كيلومترا فى لبنان لكى يقضى على ما أسماه الإرهاب الفلسطينى ، لكنه فى الواقع وصل حتى بيروت ودامت الحرب ١٨ سنة .

وكان الجنرال جوردوش ، الذى تولى قيادة اللواء الجنوبى (قبل ٣ أشهر فقط من الحرب) ، قد أصر على أن يقود الجيش فى صد الهجوم المصرى فى الجنوب بصفته قائداً للواء الجنوبى ، مع أن رئيس الأركان عرض عليه أن يقود القوات الميدانية ، على أن يتولى القيادة العليا مكانه قائد اللواء الجنوبى السابق ، اريبل شارون ، وعندما رفض تقرر أن يتولى قيادة القوات الميدانية فى المنطقة الشمالية من قناة السويس شارون .

ولكن مع بداية الهجوم والشعور بأنه هزم ، بدأ جوردوش يسجل بالصوت أهم المحادثات التى أجراها أو سمعها ودارت بين الجنرالات ، ولا يستبعد أن تكون تسجيلاته انتقائية وتقتصر على المحادثات التى تفيده فيما بعد لإثبات براءته من الفشل . ومع

ذلك، فإن هناك أهمية لهذه التسجيلات ، كونها توثق حالة الارتباك فى صفوف الإسرائيليين وتشكل درساً يمكن استخلاص العبر منه حول خطورة وهم القوة والبطش .

وفيما يلى استعراض لأبرز ما جاء فى هذه التسجيلات :

– **٦ أكتوبر ١٩٧٣ ـ صباحا :**

الساعة ٧:٢٠ صباحاً يتصل رئيس الدائرة الميدانية فى اللواء الجنوبى للجيش ، شاى تمارى ، مع القيادة العليا ويعلن لدينا معلومات تفيد بأن شيئا جديا قد يحدث اليوم ، يجب أن نتصرف بيقظة ، نعتمر الخوذة ونرفع درجة اليقظة والحذر .

قبل ثلاث ساعات كانت معلومات قد وصلت عن توقع هجوم عسكرى مصرى شامل على إسرائيل قريباً جداً .

ومع أن قادة الجيش أيقظوا وزير الدفاع ، موشيه ديان ، ورئيس الأركان ديفيد اليعازر ، ليخبروهما بأن الاستعدادات لمواجهة الحرب بدأت بطيئة جداً ، وكأنهم لم يصدقوا أن المصريين قادرون على فعل ذلك ، فبدأت جلسة مشاورات شبه عادية فى قيادة الجيش .

– **الساعة ٨:٣٣** يعلن تمارى فى اللاسلكى : أوامر : إخلاء المدنيين من خليج سليمان (نويبع ودهب) الدخول فى حالة تأهب قصوى فى الساعة الخامسة مساء .

– **الساعة ٩:٠٦** تمارى يعلن : هناك معلومات عن نية المصريين تجاوز خط قناة السويس اليوم بخمسة ألوية بواسطة سلاح المشاة ، المدرعات ثم سلاح الجو ، المعلومات من مصدر جيد جداً . علمنا أيضاً أن مصر بدأت تخلى الخبراء الروس

وتعيدهم إلى بلادهم وتنقل أسلحة محظورة إلى ليبيا .

– **الساعة ١٠:٣٠** يعلن : بدء تجنيد قوات محدودة من الاحتياط فى الجيش الإسرائيلى .

– **الساعة ١٤:٠٥** المصريون بدأوا فى عملية قصف واسعة . دبابات مصرية تتقدم من الطرف الغربى للقناة . الطائرات المصرية تقصف فى شرم الشيخ . غارات تضرب على مقربة من غرفة قيادة العمليات للواء الجنوبى . القوات المصرية بدأت تجتاز القناة فى المنطقة الجنوبية . معارك طاحنة تدور فى جميع المواقع. فى الشمال أعطبوا لنا ٨ دبابات . الكثير من القتلى والجرحى . نطلب دعماً جوياً .

– **٧ أكتوبر ، السابعة و ١١ دقيقة الوضع ليس جيداً ،** نحتاج إلى مساعدة جوية كبيرة جداً ، أشعل المصريون النار فى حقول النفط ، يجب إخراج العمال من هناك . وقف تدفق النفط . لا يوجد لدينا وقود . المصريون يواصلون الهجوم الكاسح على جميع الجبهات . الجنود يخافون ، لا يريدون الصعود إلى الدبابات .

– **٧ أكتوبر ، الساعة ١١:٤٠ وزير الدفاع ، ديان ،** يترك الجبهة الشمالية وينزل إلى الجنوب نحو سيناء . قبل أن يصل ، ترد معلومات تقول إن المصريين أنزلوا قوة كوماندوز على مقربة من مقر القيادة الإسرائيلية للحرب ، فطلب الجيش منه أن يعود . لكنه يرفض ، ويصل ويدخل ومعه الجنرال رحبعام زئيفى – (الذى أصبح زعيما لحزب «موليدت» العنصرى ودخل حكومة شارون الأولى وأصبح وزيراً للسياحة ، وتم قتله خلال

الانتفاضة الأخيرة على أيدى مجموعة من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين).

ديان : هل تعرفون ما حدث لرجالنا ؟

جوردوش : كتيبة القدس صامدة بشكل غير عادى .

ديان : لدينا الآن مشكلتان . كيف نوقف الهجوم المصرى . وكيف نوزع الناس فى المواقع (هنا ، يتصل ديان مع رئيس الأركان ويقول له : « أنا أكلمك من مواقع جوردوش. كيف الحال. ما الذى تستطيعون المساعدة به ؟ لماذا ؟ آه نعم . الصواريخ المضادة للطائرات ، فهمت . إنها صعبة ، كانوا يحاولون منعى من الهبوط هنا بسببها ، لكننى لم أخضع ، (هنا ينهى المكالمة ويتوجه إلى جوردوش مرة أخرى).

ديان : أنا أفهم أنهم أعادوا اثنين من جنودنا كانا قد وقعا فى الأسر لكى يقترحا علينا الاستسلام . أعطوهم نفساً ، هجوماً كبيراً جداً ، لكن ليس الآن ، فقط فلا يوجد منطق فى أن نحاول الآن اختراقهم . وهم سيواصلون إرسال المزيد من القوات .

- جوردوش :

أعداد الجنود التى يدخلها المصريون تدل على أن هذا هجوم ضخم .

- ديان :

ما أفهمه أن سلاح الجو يستطيع صدهم . ولكن يجب ألا نبنى على ذلك . المواقع التى يمكن المقاومة فيها ، علينا أن نقاوم . ولكن لا أن نبادر للهجوم ، يمكن التسلل نحوهم فى الليل . أما بالنسبة للجرحى فاتركوهم يقعون فى الأسر ، والجنود المعافون

ينسحبون رويداً رويداً وبشكل فردى . وأنا أفضل أن يكون ذلك فى الليل . من الواضح أننا سنعطى الأفضلية لبلدات الشمال ، فالسوريون قادرون على الوصول إلى طبريا ، بينما سيناء ليست بذات الأهمية ٢٠ كيلومترا أقل ، ٢٠ كيلومترا أكثر ، تظل أهون من الشمال ، لهذا سنعطى الأفضلية إلى تلك الجبهة ، خصوصاً بالنسبة لسلاح الجو .

- ٧ أكتوبر ١٨:٠٢ جوردوش يبحث عن ارييل شارون

(الذى كان قد عرف أن جوردوش رفض تسليمه القيادة ، فراح يسخر منه ويستخف بأوامره ، ولا يرد على الهاتف أو اللاسكى إذا كان جوردوش على الطرف الآخر).

جوردوش (فى حديث مع ضابط الاتصال فى اللواء الذى يقوده شارون) : اسمع . ليس من المعقول ألا يكون شارون قرب الهاتف كل النهار ، فأين هو ؟

ضابط الاتصال : إنه فى مفترق الطرق .

جوردوش : وأين أنتم الآن ؟

ضابط الاتصال : هاهو اريك (اريل شارون) كلمه بنفسك .

جوردوش : مرحباً اريك ، لى طلب عندك ، أرجوك أن ترد على اتصالاتى .

شارون : أنا كل الوقت اتصل بكم ولا ألقى الجواب . نحن ننفذ أوامرك وننطلق نحو القناة .

جوردوش: أنصت يا اريك . هناك تجمع دبابات ضخم أريد أن تقوم بتصفيته ، وأن تحتل رأس الجسر .

شارون : المعلومات عندى أنه لا يوجد رأس للجسر .

جوردوش : أريدك أن تأتى لحضور جلسة .

شارون : يوجد عندى ٩٠ جندياً محاصراً كلهم فى حالة سليمة . فقط اثنان قتلا وهناك بعض الجرحى . لقد اتسموا بالروح القتالية الرائعة ، وأنا أريد أن أحدث اختراقا بالدبابات تحت غطاء المدفعية حتى أنقذهم ، لذلك لا أستطيع حضور الجلسة، محظور علينا إهمال هؤلاء المقاتلين .

جوردوش : ألم تعرف . هناك تعليمات أخرى فى هذا المجال (يقصد أوامر ديان ، بترك الجرحى يؤسرون والانسحاب بأى ثمن) .

شارون : هذا الأعور .. (يقصد وزير الدفاع موشيه ديان).

جودروش : نحن بانتظارك .

شارون : لن آتى . تعالوا أنتم عندى .

وفى تسجيلات هذا اليوم نفسه أيضاً ، نجد كيف يتصرف قائد اللواء جوردوش ، بعصبية مع جنوده وضباطه :

جوردوش : مَنْ المسئول هنا عن تزويد الوقود ؟

ضابط برتبة رائد يرد عليه : أنا .

جوردوش : كم من الوقود أرسلت ؟

الرائد : صهريج واحد .

جوردوش : صهريج واحد ياغبى . هناك ٥٠ دبابة . أتعرف كم تحتاج كل دبابة ؟

الرائد : نعم . ١٨٠ لترا .

جوردوش : يا غبى . كل دبابة تستوعب ١٠٠٠ لتر . سجلوا لى اسمه . أريد محاكمته بعد الحرب .

فشل العمليات الإسرائيلية فى التسجيلات الجديدة تتعلق بيوم ٨ أكتوبر ، بعد الظهر وحتى ظهر اليوم التالى ٩ أكتوبر ، ففى هذه الفترة كانت قيادة الجيش الإسرائيلى قد أعدت هجوماً مضاداً لوقف الهجوم المصرى . جوردوش من جهته خطط لأن تقوم القوات كلها بالزحف معاً إلى الغرب ، وإعادة احتلال قناة السويس وعبورها أيضاً « حتى نضع أقدامنا فوق الأرض الإفريقية». إلا أن شارون كان يخطط لأن يدير الحرب لوحده من الجهة الجنوبية لسيناء ، على طريقته ووفق ظروفه ، كما كان يطلب ، وأوضح أنه كان بمقدوره أن يجتاز القناة من الآن ويطوق الجيش المصرى ويحرجه ، ويقلب بذلك نتيجة الحرب رأساً على عقب ، إلا أن جوردوش يأمره بالامتثال للأوامر والعودة .

ويعلن شارون التزامه . لكن صد الهجوم المصرى يفشل ، إذ دارت معارك شديدة وقاسية بين الجيشين وانتهت بفشل إسرائيلى واضح فى تحقيق الهدف .

وقال شارون فيما بعد أن جوردوش لم يكن يحبه ، ولم يكن يرغب فى أن يكون هو الذى يقود طلائع الجنود الإسرائيليين إلى أرض مصر الإفريقية ، بل أراد جنرالا آخر من أصدقائه يدعى بيران كي يفعلها ، لكن بيران فشل ، وشارون تمرد فى النهاية، ونفذ الخطوات التى يريدها فيما بعد ، ليس قبل أن تشعر إسرائيل بالهزيمة وليس قبل أن يقرر رئيس أركان الجيش تغيير جوردوش واستبداله برئيس أركان الجيش الأسبق ، حاييم بارليف .

على أثر الفشل ، اجتمع وزير الدفاع موشيه ديان (الأربعاء

١٠أكتوبر) مع رؤساء تحرير الصحف العبرية اليومية ، واعترف أمامهم بالفشل قائلا : « لا توجد لدينا الآن القوة الكافية لأن نقذف بالمصريين إلى ما وراء القناة إلا إذا خاطرنا بانهاك قواتنا تماماً .. وأقول لكم صراحة ، لقد بات واضحاً أمام العالم كله أننا لسنا أقوى من المصريين » . وأخبرهم بأنه ينوى قول هذه الكلمات على الملأ فى المساء ، على شاشة التليفزيون .

وذهل رؤساء التحرير وصدموا ، وقال له رئيس تحرير هآرتس جرشوم شكون : إذا كان ما قلته لنا الآن ، سيقال على شاشة التليفزيون ، فإن هزة أرضية ستحدث فى أذهان الشعب فى إسرائيل والشعب اليهودى كله ، وكذلك لدى الشعب العربى.

ويهتم أحدهم بإبلاغ رئيسة الحكومة ، جولدا مائير ، فى حينه، فتتصل على الفور بديان ، وتأمره بإلغاء اللقاء مع التليفزيون ، وتطلب من رؤساء التحرير ألا ينشروا أقوال ديان ، وتأمر بفرض الرقابة العسكرية لمنع نشرها .



السادات وأمريكا

أزمة كيسنجر

حرب أكتوبر

وعملية السلام

فى الشرق الأوسط

■■ قال الرئيس السادات: قصتى مع الروس طويلة.. منذ أصبحت رئيسا للجمهورية وقابلت الزعماء الروس أربع مرات وكان من الواضح بالنسبة لى أن هناك فرقا كبيراً بينى وبين الروس فى تقييم الوضع بالشرق الأوسط. ■■

وقد كشفت الخارجية الأمريكية في واشنطن وثائق السنوات ١٩٧٢ و١٩٧٣ و١٩٧٣ عن العلاقات الأمريكية ـ المصرية، وهي بداية الاتصال مع الرئيس أنور السادات التي يمكن تقسيمها إلى ثلاث سنوات:

السنة الأولى: سنة ما قبل حرب أكتوبر «حرب رمضان»، وكانت كلها هجوما وعداء لأمريكا، وامتدادا لهجوم وعداء عبدالناصر.

السنة الثانية: سنة الحرب ضد إسرائيل، وبعدها بدأت الوساطة الأمريكية بفك اشتباك القوات المصرية والإسرائيلية في قناة السويس.

السنة الثالثة: سنة ما بعد الحرب، عندما اقتنع السادات أن الحل عند أمريكا، وأعاد العلاقات الدبلوماسية معها، وزار الرئيس نيكسون مصر وبدأ الانفتاح على أمريكا.

وهنا مقتطفات من وثائق سنة ما قبل حرب أكتوبر، عندما كان السادات على طريقة عبدالناصر، يهاجم أمريكا كثيرا، لكن

أمريكا كانت تحاول التقرب منه وتتوقع كسبه، بطريقة أو بأخرى.

من: قسم المصالح الأمريكية ـ القاهرة

إلى: وزير الخارجية ـ واشنطن

الموضوع: خطاب السادات

التاريخ: ١٩٧٢/٥/٣

ألقى الرئيس السادات خطابا بمناسبة عيد العمال، ونتوقع أن تكون وصلتكم نسخة منه عن طريق «فيبيس» (قسم التقاط الإذاعات الأجنبية التابع لوزارة الخارجية) وهذه هى ملاحظتنا عليه:

أولا: نغمة قوية معادية لنا، وهذه طبعا أصبحت شيئا عاديا.

ثانيا: رفض قبول «حل أمريكى» لمشكلة الشرق الأوسط، وهذه ليست المرة الأولى التى يقول فيها ذلك.

ثالثا: تحد واضح لنا ولإسرائيل.

رابعا: رد على بعض الانتقادات التى يوجهها المصريون للنظام، مع حذر فى علاج النقاط الحساسة.

● **من: السفارة الأمريكية ـ بيروت**

إلى: قسم المصالح الأمريكية ـ القاهرة (نسخة إلى وزير الخارجية ـ واشنطن)

الموضوع: نزاع فى مصر

التاريخ: ١٩٧٢/٥/٨

تتحدث الصحف اللبنانية عما تراه نزاعا فى مصر بين الجناحين اليسارى واليمينى. وقالت جريدة «البلاغ» التى تدعمها حكومة الجزائر، إن أساس النزاع هو محاولة المؤيدين لأمريكا،

والمعارضين لروسيا، التعاون مع أمريكا للوصول إلى حل سلمى لمشكلة الشرق الأوسط، وأن السادات يؤيد هؤلاء.

لكن ظهرت عراقيل أمام هؤلاء بعد مظاهرات الطلاب، واضطر السادات إلى الميل نحو تحسين العلاقات مع روسيا، واضطر لاختيار حلفاء للروس فى مناصب قيادية فى الاتحاد الاشتراكى العربى (الحزب الوحيد الحاكم فى ذلك الوقت). وأن قائد القوات المصرية المسلحة، الفريق صادق يقود المؤيدين لروسيا، بينما يقود نائب الرئيس ـ حسين الشافعى ـ الذين «يأملون فى حوار جديد مع الأمريكيين».

إن بعض الضباط القدامى الذين اشتركوا فى قيادة الثورة المصرية سنة ١٩٥٢ (مع جمال عبدالناصر، وأنور السادات، وحسين الشافعى) وقعوا على بيان الجبهة الوطنية المصرية. وهؤلاء هم:

زكريا محيى الدين، كمال الدين حسين، وعبداللطيف البغدادى، وأن اليساريين الذين انتقدهم الرئيس السادات فى خطابه يشكلون اتحادا سريا للطلاب المصريين بقيادة أحمد عبدالله...

● **من: قسم المصالح الأمريكية ـ القاهرة**

إلى: وزير الخارجية ـ واشنطن

الموضوع: اعتقالات

التاريخ: ١٩٧٢/٥/٢٠

وصلت إلى قسم رعاية المصالح الأمريكية تقارير عن اعتقال مصريين مشهورين من أنصار زكريا محيى الدين أو وضعهم تحت حراسة منزلية.

وقال لنا مصدر يعمل لصالحنا: إن اللواء متقاعد مهاب عبدالغفار اعتقل مع آخرين، قبل ثلاثة أيام.

وحسب معلوماتنا، عبدالغفار من أكثر المعروفين اجتماعيا لعدد من الدبلوماسيين الأجانب فى القاهرة.

وهو أيضا صديق مقرب لزكريا محيى الدين.

وقالت مصادر تعمل لصالح السفارة فى القاهرة إنه فى نفس اليوم اعتقل د. مصطفى خليل «وزير الاقتصاد السابق» الذى كان وقَّع على بيان عبداللطيف البغدادى (بيان الجبهة الوطنية المصرية).

وقالت مصادر السفارة البريطانية إن بيان البغدادى كتب فى منزل اللواء عبدالغفار، رغم أن عبدالغفار لم يوقَّع عليه شخصيا، ولم يوقَّع عليه شخصيا أيضا زكريا محيى الدين.

● **من: قسم المصالح الأمريكية ـ القاهرة**

إلى: وزير الخارجية ـ واشنطن

الموضوع: تهديد

التاريخ: ١٩٧٢/٦/٥

اتصل بنا شخص مجهول وقال لموظفة استقبال الاتصالات التليفونية فى العاشرة والعشر دقائق من صباح اليوم: «سنفجر السفارة الليلة».

وقالت موظفة استقبال الاتصالات التليفونية، وهى مصرية إن الرجل كان يتحدث بلهجة عربية فصيحة وأنها لم تقدر على تحديد ما إذا كان الرجل مصريا، أم غير مصرى.

ونحن اتصلنا بمدير شرطة القاهرة، وبمسئول البروتوكول فى

وزارة الخارجية المصرية. ونصح مدير الشرطة بإغلاق مكتب القنصلية بقية اليوم، ونحن نفذنا ذلك. وأرسل عددا من الشرطة السرية والعلنية لحراسة المبنى ووضع سيارة شرطة أمام المدخل.

ونحن شددنا مراقبة الذين يدخلون المبنى، وقام الموظفون الأمريكيون بتفتيش المبنى، وطلبنا من السكرتيرات الأمريكيات اللائى يسكن فى شقق المبنى قضاء الليلة مع زميلاتهن خارج المبنى...

● **من: قسم المصالح الأمريكية - القاهرة**

إلى: وزير الخارجية - واشنطن

الموضوع: تهديد

التاريخ: ١٩٧٢/٦/٦

ألقى الرئيس السادات أمس خطابا فى ذكرى حرب سنة ١٩٦٧ أمام الجرحى العسكريين فى مركز رعاية المحاربين القدماء فى العجوزة.

وكرر السادات أن مصر ليس أمامها أى خيار سوى الحرب ضد إسرائيل لاسترداد الأراضى المحتلة وقال:

«ليس هناك أى حل سوى النصر»، (قال ذلك قبل أكثر من سنة من إعلان الحرب).

● **من: قسم المصالح الأمريكية - الخرطوم**

إلى: وزير الخارجية - واشنطن (نسخة إلى قسم المصالح الأمريكية - القاهرة)

الموضوع: تعليق وزير سودانى

التاريخ: ١٩٧٢/٦/٢٨

خلال لقاء خاص مساء أمس مع إبراهيم منعم منصور «وزير المالية السوداني»، قلت إن حكومة السودان كادت تعلن استئناف العلاقات الدبلوماسية معنا في منتصف الشهر الماضي لكنها تراجعت.

وقال الوزير إن السبب هو الخوف من إحراج الرئيس المصري السادات، وقال إن السادات عنده مساوىء لكن لا يوجد زعيم مصري غيره أفضل منه، بالنسبة للسودان وبالنسبة للغرب.

وقال الوزير إن السادات، عكس كثير من القادة المصريين لا يتمتع بقاعدة اقتصادية أو جغرافية أو طبقية معينة، لكنه يعتمد على تأييد عام من كل الفئات والمستويات. وأن هذه الفئات العامة لا تريد الحرب ضد إسرائيل وتفضل الحل السلمي.

وقال الوزير إنه يشك في أن السادات يريد مفاوضات غير مباشرة (مفاوضات عن قرب) مع إسرائيل حسب الشروط التالية:

أولا: مفاوضات غير مباشرة.

ثانيا: في سرية تامة.

ثالثا: بعد تنازلات إسرائيلية رمزية (ربما الموافقة على الانسحاب قليلا من قناة السويس، أو فتح قناة السويس للملاحة).

● **وزارة الخارجية ـ قسم الترجمة**

من مقابلة جريدة «لوفيجارو» الفرنسية مع الرئيس السادات:

أنا أقرر طرد الخبراء الروس يوم ١٨يوليو.. أنا قررت يوم

١٧يوليو، وأعلنت القرار يوم ١٨يوليو..

قصتي مع الروس طويلة، منذ أن أصبحت رئيسا للجمهورية، قابلت الزعماء الروس أربع مرات، ومنذ أول مرة كان واضحا بالنسبة إلى أن هناك فرقا كبيرا بيني وبين الروس في تقييم الوضع في الشرق الأوسط.

أحيانا كنت أفضل عدم الجدل معهم، على أمل أن نتمكن من حل خلافاتنا، وفي الحقيقة، أنا بذلت كل ما أستطيع لإقناع الروس برأيي.

أهم خلاف كان عن فهمهم لطبيعة الشعب المصري، ثم عن الأسلحة التي كانوا يرسلونها لنا. الروس لم يضعوا أي اعتبار للوضع النفسي في المنطقة ونسوا العامل السيكولوجي.

ثم هناك الخلاف حول النظرة العالمية لمشكلة الشرق الأوسط، بالنسبة لنا هذه مشكلتنا؛ هذه مشكلة إقليمية، لكن بالنسبة للروس كانت مشكلة عالمية، وكانت واحدة من مشاكل أخرى مع الأمريكيين.

بل ربما كانت المشكلة رقم أربعة أو خمسة في قائمة مشاكلهم مع الأمريكيين.

اجتماع القمة في موسكو بين الرئيس نيكسون والقادة الروس، في مايو سنة ١٩٧٢، كان نقطة مهمة بالنسبة لي في اتخاذ قرار طرد الخبراء الروس، لأنني بعد الاجتماع اكتشفت أن الخلاف بيننا عميق جدا ولابد من التوقف ومراجعة كل شيء.

... أنا قابلت الروس مرتين في سنة ١٩٧١، في بداية السنة ثم نهايتها. في الاجتماع الأخير توصلت إلى اتفاق معين على أن ينفذ

قبل نهاية نفس السنة، لكن ذلك لم يحدث.

لهذا كنت أقول فى خطبى خلال تلك السنة أنها ستكون سنة الحرب أو السلام أى سنة اتخاذ القرار الحاسم.

لهذا، ومع بداية سنة ١٩٧٢، وعدم تنفيذ الروس للاتفاقية معهم، كان يجب أن أحسم الموضوع، لكننى كما قلت قررت انتظار مؤتمر القمة الأمريكية ـ الروسية فى موسكو.

قلت إن الروس أصدقائى وأن العلاقات بين البلدين قوية وتاريخية، لكنهم خيبوا أملى فيهم.

ويجب ألا يعتقد أحد أننى قررت ما قررت بسبب الضغط علىَّ من جانب القوات المسلحة المصرية.

هذا لم يحدث، وهناك شائعات كثيرة عن أسباب أخرى، لكنها كلها كانت شائعات.

● **من: قسم المصالح الأمريكية ـ الخرطوم**

إلى: وزير الخارجية ـ واشنطن (نسخة إلى قسم المصالح الأمريكية فى القاهرة)

الموضوع: نميرى يتساءل

التاريخ: ١٩٧٢/٧/١٩

الرئيس النميرى استدعانى ظهر اليوم ليسأل عن رأينا فى قرار السادات بطرد الخبراء العسكريين الروس، وقال النميرى هناك نظرتان:

الأولى: وجود اتفاقية سرية بين أمريكا ومصر بطرد الروس، مقابل تحسين العلاقة بين أمريكا ومصر.

الثانية: السادات يريد إعلان الحرب على إسرائيل، لهذا فإن

طرد الخبراء العسكريين الروس يحرم إسرائيل من القول إن الروس يحاربونها.

وقال النميرى إن التفسير الأخير غير ممكن لأن السادات يعتمد على الأسلحة الروسية فى الحرب ضد إسرائيل، وأنا قلت إن وزارة الخارجية لم ترسل لنا أى تفاصيل وأنها أعلنت أن ما حدث شأن مصرى داخلى.. ثم انضم إلى اجتماعى مع الرئيس نميرى وزير الخارجية منصور خالد، الذى جاء مباشرة من المطار قادما من أثيوبيا. وقال الاثنان إنهما يعتقدان أن طرد السادات للخبراء الروس سيوجد فرصة مناسبة للحكومة الأمريكية وللشعب الأمريكى ليقللا من تأييد إسرائيل.

ونميرى كان متحمسا جدا لما فعل السادات، وقال إن قراره فى السنة الماضية بالقطيعة مع الروس، بعد محاولة الانقلاب الشيوعى ضده، فتح المجال أمام الدول الأخرى لتفعل نفس الشىء، وربما شجع السادات ليفعل ما فعل..

● **من: وزير الخارجية ـ واشنطن**

إلى: قسم المصالح الأمريكية ـ القاهرة

الموضوع: ذكرى ثورة يوليو

التاريخ: ١٩٧٢/٧/٢٦

الرجاء نقل هذه الرسالة من الرئيس نيكسون إلى الرئيس السادات:

بينما تحتفل الثورة المصرية بعامها العشرين يوم ٢٣ يوليو يسرنى باسم الولايات المتحدة أن أقدم التهنئة، مع التمنيات الطيبة، لكم وللشعب المصرى.

وأنا أتمنى أن تتمتع مصر بالرخاء والسعادة تحت قيادتكم.

التوقيع: ريتشارد نيكسون

الرجاء ملاحظة أننا لن نعلن هذا الخطاب للإعلام، لكن إذا قرر المصريون نشر الخطاب فلن نعترض على ذلك.

● **من: قسم المصالح الأمريكية ـ القاهرة**

إلى: وزير الخارجية ـ واشنطن

الموضوع: خطاب السادات

التاريخ: ١٩٧٢/٧/٢٥

ألقى الرئيس السادات خطابا بمناسبة ذكرى ثورة يوليو استمر لأكثر من أربع ساعات، وغطى الخطاب كل المواضيع الداخلية والخارجية، وتحدث عن إنجازات الثورة المصرية وعن علاقة مصر بالدول الكبرى.

وعن المشكلة مع إسرائيل، قال السادات إنه يرفض أية مفاوضات مباشرة مع إسرائيل لأنها ستكون «استسلاما» وكرر دعوته لتحرير الأراضي المصرية المحتلة «شبرا شبرا».

وكرر هجومه على أمريكا، وقال إن كل تاريخ سنوات التعامل معها ليس إلا وعوداً كاذبة وأنها لا تبدو جادة في حل المشكلة العربية ـ الإسرائيلية وأنها تنحاز إلى جانب إسرائيل مائة في المائة.

وتحدث السادات عن «خلافات» مع روسيا في طريقة حل المشكلة العربية ـ الإسرائيلية، لكنه لم يهاجم روسيا بشدة، مثلما فعل مع أمريكا.

● **من: قسم المصالح الأمريكية ـ القاهرة**

إلى: وزير الخارجية ـ واشنطن

التاريخ: ١٩٧٣/١/٣

قال لنا مصدر موثوق به وعنده اتصالات مع كبار المسئولين فى وزارة الداخلية المصرية إن الوزارة تسلمت أمس التقارير الآتية عن مظاهرات الطلاب:

أولا: فى جامعة أسيوط: تظاهر الطلاب فى الثامنة مساء فى الحرم الجامعى واعتقلت الشرطة ٦٨ طالبا.

ثانيا: فى جامعة عين شمس: وزعت منشورات خارج الحرم الجامعى واعتقلت الشرطة أربعين من طلاب الجامعة.

ثالثا: فى جامعة الإسكندرية: قال الطلاب إنهم سيبدأون اضرابا عن الطعام حتى تستجاب طلباتهم.

رابعا: فى جامعة القاهرة: اليوم، عند منتصف النهار تسلمت وزارة الداخلية معلومات ثلاثة آلاف وخمسمائة طالب تجمعوا للقيام بمظاهرة خارج الحرم الجامعى.

● **من: جوزيف سيسكو، مسئول الشرق الأدنى**

إلى: وليام روجرز ـ وزير الخارجية

التاريخ: ١٩٧٣/١/٣

خلال الأسبوع الماضى شهدت مصر سلسلة مظاهرات قام بها الطلاب وظلت سلمية، حتى الآن.

وهذا تحليل عنها من زاوية تأثيرها فى وضع الرئيس السادات:

هناك عملية بطيئة ومؤكدة تجرى الآن فى مصر، بقيادة

السادات، وهى محاولة تحرير الوضع السياسى بإعطاء بعض الحرية للمعارضة وفى الحقيقة طلاب الجامعات الذين تظاهروا استفادوا من هذا الانفتاح السياسى بإعطاء بعض الحرية للمعارضة.

وحسب التقارير التى وصلتنا، هدد بعض الطلاب باستمرار المظاهرات حتى تحقيق ثلاثة شروط هى:

أولا: إطلاق سراح الذين اعتقلوا.

ثانيا: احترام حقوق المواطنين السياسية.

ثالثا: تقديم أدلة بأن الاستعداد للحرب ضد إسرائيل يجرى حقيقة وليس مجرد كلام.

وحتى الآن يبدو لنا أن النظام يريد المحافظة على أعصابه ويحاول مواجهة الوضع بخليط من الحزم وروح المصالحة.

● **من: السفارة الأمريكية ـ بيروت**

إلى: وزير الخارجية ـ واشنطن

التاريخ: ١٩٧٣/١/٨

نشرت جريدة «البيرق» اليوم مقابلة أجراها صاحبها، ملحم كرم، مع الرئيس السادات، وهذه أهم النقاط فيها:

أولا: قال السادات إن مظاهرات الطلاب المصريين يقف وراءها «اليسار المغامر»، وأن هناك فقط، سبعين طالباً مشاكساً وسط ربع مليون طالب جامعى فى مصر، وأن الطلاب استغلوا الحرية السياسية التى سمح هو بها.

ثانيا: اعترف أن هناك شائعات كثيرة عن «سنة الحسم» (موعد إعلان الحرب ضد إسرائيل، التى ظل السادات يؤجلها سنة

بعد أخرى). وقال ضاحكا: «هناك نكات أيضا»، ودعا إلى «الصبر والكتمان»، وقال: نحن لا نتحرك فى فراغ، نحن نعرف كيف نحسب كل خطوة، وفى بعد نظر.

رابعا: قال إنه فقد كل الأمل فى أمريكا وأنه ما عاد يتوقع منها حلاً سلمياً.

وانتقد الدول العربية لأنها لا تهدد المصالح الأمريكية فى المنطقة بل، بالعكس، تعمل على ازدهار هذه المصالح.

● **من: وزير الخارجية - واشنطن**

إلى: قسم المصالح الأمريكية - القاهرة

الموضوع: ذكرى ثورة يوليو

التاريخ: ١٩٧٣/١/١٠

الرجاء نقل هذه الرسالة إلى رئاسة الجمهورية فى الوقت المناسب:

عزيزى الرئيس السادات:

يسرنى أن أقدم لكم تمنياتى وتهانى الشخصية بمناسبة عيد الأضحى المبارك.

المخلص: ريتشارد نيكسون

الرجاء ملاحظة أن البيت الأبيض لا ينوى إعلان هذه التهنئة للصحفيين، لكنه لا يعارض إذا أعلنها المصريون.

(هذه التهنئة «السرية» الثالثة من الرئيس نيكسون إلى الرئيس السادات: الأولى كانت بمناسبة العيد العشرين لثورة يوليو، والثانية بمناسبة عيد الفطر. وفى كل مرة ترسل التهنئة سرا، ربما خوفا من إحراج السادات، وخوفا من اليساريين ومؤيدى روسيا الذين قد يعارضون هذه المبادرات الأمريكية السرية).

● **من: قسم المصالح الأمريكية - القاهرة**
إلى: وزير الخارجية - واشنطن
التاريخ: ١٩٧٣/١/٢٢

قالت لنا مصادر ممتازة إن حوالى أربعين من الكتَّاب المصريين أرسلوا فى الأسبوع الماضى مذكرة إلى الرئيس السادات عن التطورات الأخيرة، وأهم ما جاء فيها أن مظاهرات الطلاب ليست فعل أقلية مشاغبة، لكنها تعبر عن تذمر كل قطاعات الشعب المصرى.

ومن الذين وقعوا على المذكرة: توفيق الحكيم «عميد الكتَّاب المصريين» وصديق محمد حسنين هيكل، لويس عوض، المثقف والكاتب القبطى لطفى الخولى «اليسارى» الذى كان شيوعيا، يوسف السباعى «رئيس مجلس إدارة دار الهلال ورئيس منظمة تضامن الشعوب الإفريقية والآسيوية».

وفى رأينا أن المذكرة نادرة فى نوعها، لأن الذين وقعوا عليها ينتمون إلى كل التيارات الفكرية والفلسفية، ولأن بعضهم من أكثر الأدباء والكتَّاب احتراما فى مصر.

● **من السادات إلى نيكسون**
التاريخ: ١٩٧٣/٢/١٨

عزيزى الرئيس نيكسون:

وصلتنا الدعوة من حكومة الولايات المتحدة إلى محمد حافظ إسماعيل لزيارة واشنطن، لتبادل وجهات النظر حول المواضيع التى تهم بلدينا.

وأنا أرى أن هذه الدعوة دليل على اهتمام الولايات المتحدة

الخـاص بمشكلة الشـرق الأوسـط وأنا لاحظت تصـريحـاتكم عن قلقكم وعن عزمكم على تحقيق سلام كامل وعادل فى منطقتنا.

وأنا أمرت إسـماعيل بأن يسافـر إلى واشنطن بناء على دعوة حكومتكم، على أمل أن تبذل حكومة الولايات المتحدة كل إمكاناتها للدفاع عن الحرية والاستقلال والحقوق الشرعية للشعوب لتحقيق مصيرها.

● **من نيكسون إلى السادات:**

عزيزى السيد الرئيس:

أود أن أشكركـم على خطابكـم بتـاريخ ١٩٧٣/٢/١٨ الذى سلمه لى إسـماعـيل، خلال زيارته الأخيـرة إلى هنا، لقد سـعدت باستقبـال إسماعـيل شخصيا وبتـبادل وجهات النظر مـعه تبادلاً كاملاً وصريحاً.

هذه الزيارة ساهمت فى فـهم أكثر لآراء حكـومتكم، وأنا أتمنى أن تكون قد حققت نفس الشىء بالنسبة لفهمكم لآراء حكومتنا.

زوجتى تشاركنى فى التعبير عن شكرها لهدايا النحاس الراقى والنسيج المصـرى التى أرسلتـموها بواسطة إسماعـيل، وستكون هذه الهدايا تذكاراً قيما.

المخلص: ريتشارد نيكسون

● **من: السفاة الأمريكية ـ بيروت**

إلى: وزير الخارجية ـ واشنطن

التاريخ: ١٩٧٣/٢/٨

فؤاد مطر مراسل جـريدة «النهار» المستقلة نشـر اليوم تقريرا عن «الـثورة الثقـافيـة» فى مـصر، وذلك فى إشـارة إلى تطهيـر

تسعين يساريا و«مغامرا» من الاتحاد الاشتراكى العربى، ومن بين الذين طردوا: لطفى الخولى، لويس عوض، يوسف إدريس.

أن هناك قائمة أخرى ستعلن، وأن الرئيس الليبى القذافى يؤيد تخلص الرئيس السادات من هؤلاء اليساريين، لكن محمد حسنين هيكل كان يؤيدهم، وخاصة الكتّاب الذين كانوا يكتبون فى «الأهرام» وقال إن القذافى وهيكل اجتمعا قبل يومين، ويقال إن القذافى أقنع هيكل ألا يحتج عندما يعزل السادات هؤلاء اليساريين.

● **البيت الأبيض: مذكرة إلى هنرى كيسنجر ـ مستشار الرئيس للأمن القومى**

الموضوع: خطاب السادات

التاريخ: ١٩٧٣/٣/٢٨

يبدو أن الرئيس السادات فى خطابه قبل يومين إلى الشعب المصرى، تعمد الإثارة لمواجهة الوضع الممل والقائم فى مصر، قال إنه سيكون أيضا رئيسا للوزراء، وذلك استعدادا لمواجهة شاملة، مع إسرائيل. وكالعادة، علينا أن ننتظر لنرى إذا كان هذا سيحدث، لكننا نعتقد أن لا جديد فى الموضوع لأن السادات لم يحدد تاريخا للحرب، بل ركز على تعبئة الجبهة الداخلية وعلى استمرار الجهود السياسية.

وكالعادة هاجم السادات أمريكا هجوما شديدا، وكرر شكوكه فى نياتها وقال إن خبر إرسال أسلحة أمريكية جديدة إلى إسرائيل سرب عمدا كجزء من حرب نفسية لتدعيم اليأس العربى.

لكن السادات أشار إلى نقطة «إيجابية» عندما قال إن الرئيس

نيكسون قال لمبعوثه حافظ إسماعيل: إن المشكلة هى موازنة سيادة مصر على سيناء مع حاجة إسرائيل إلى الأمن.

وقال السادات إنه لابد من عودة السيادة المصرية إلى كل سيناء، وأن ذلك لابد أن يشمل شرم الشيخ.

● البيت الأبيض: مذكرة إلى هنرى كيسنجر ـ مستشار الرئيس للأمن القومى

التاريخ: ١٩٧٣/٤/٣

نشرت مجلة «نيوزويك» فى مقابلة أجراها دى بورشجريف مع الرئيس السادات بعض المعلومات الخاطئة عما قلت أنت لمستشار السادات ـ إسماعيل ـ عندما قابلك هنا، بالإضافة إلى أن جريدة «الأهرام» نشرت ترجمة لمقابلة مجلة «نيوزويك» ولكن فيها إضافات، مثل قول السادات إنه قدم للأمريكيين أربعة أسئلة وأنهم أجابوا عنها إجابات أقنعت السادات، وأن هذا كان شرطا قبل إرسال المستشار إسماعيل إلى واشنطن.

نحن لا نرى أن هناك سببا للدخول فى مناقشة علنية أو سرية، مع السادات عما قال لنا وما قلنا له. هذا سيعقد الحوار الأمريكى ـ المصرى الذى بدأ مؤخرا، والذى لا بد أن يستمر، لكن لا بد من توضيح الموضوع للإسرائيليين، لأنهم سألوا سفيرنا فى القاهرة عن هذه النقاط الأربع التى أشار إليها السادات، وهى عن العلاقات الأمريكية ـ الإسرائيلية.

● من: وزارة الخارجية ـ واشنطن

إلى: قسم المصالح الأمريكية ـ القاهرة

التاريخ: ١٩٧٣/٤/٧

نحن لا نريد الدخول فى نقاش علنى، أو سرى، مع الرئيس السادات حول ما جاء فى مقابلته مع مجلة «نيوزويك» لهذا نرسل لكم ما يقول المتحدث الصحفى باسم الوزارة، عندما يسأله الصحفيون وهو كالآتى:

«نحن لم نعلق على ما قال الرئيس السادات علنا مؤخرا، نحن على أى حال نركز على تبادل جدى للآراء، والجانبان يريان أن زيارة المستشار إسماعيل لواشنطن كانت مفيدة جدا».

ملاحظة: نفضل ألا تعلقوا على هذا الموضوع علنا فى مصر، لكن يمكنكم استعمال التعليق أعلاه فى المحادثات الخاصة.

● وزارة الخارجية - واشنطن - مذكرة حديث

المشتركون: أناتولى كوروليف «الملحق العسكرى الروسى فى واشنطن»، ونورمان أندرسون «مسئول الشئون المصرية فى الوزارة»

التاريخ: ١٩٧٣/٤/٦

جاء كوروليف إلى مكتبى وسأل عما قاله الرئيس السادات لمجلة «نيوزويك» عن حتمية «مواجهة كاملة»، مع إسرائيل، وأنا قلت له أى شخص عقلانى لا يغفل ذلك، لكن السادات يمكن أن يفعل أى شىء.

وأنا سألت كوروليف إذا كان يتوقع أن يعلن السادات الحرب على إسرائيل، وهو قال إنه لا يتوقع أن يحدث ذلك قريبا، وقال إن الرئيس السوفيتى بريجنيف سيزور أمريكا فى يونيو ولا يمكن أن يعلن السادات الحرب قبيل أو خلال الزيارة. وقال إن روسيا لا تسيطر على قرار السادات بإعلان الحرب أو عدم إعلانها.

ونفى أن تكون روسيا أرسلت مؤخرا إلى مصر صواريخ متطورة.

● **من: قسم المصالح الأمريكية ـ القاهرة**

إلى: وزير الخارجية ـ واشنطن

التاريخ: ٦/٤/١٩٧٣

قابلت قبل يومين كمال أدهم «مستشار الملك فيصل» بحضور السفير السعودى فى مصر، « ناظر. وتحدث أدهم عن زيارة مستشار الرئيس السادات ـ حافظ إسماعيل ـ إلى واشنطن، وقال إن السادات ارتاح لاجتماع إسماعيل مع الرئيس نيكسون.

وقال إن كيسنجر سأل إسماعيل إذا كانت مصر ستقبل إسرائيل كدولة مستقلة، وأن إسماعيل أجاب أن مصر تقبل قرار مجلس الأمن رقم «٢٤٢» وبالتالى تقبل ذلك.

واشتكى إسماعيل من أن اقتراح نزع سلاح سيناء، كشرط لانسحاب إسرائيل، معناه أن إسرائيل ستقدر على احتلال سيناء مرة أخرى. وأجاب كيسنجر أن هذه هى الطريقة الوحيدة لانسحاب إسرائيل..

وقال أدهم: إن كلام كيسنجر هذا أغضب إسماعيل، وهو العسكرى الذى لا يقبل الهزيمة

كما قال أدهم: إن السادات، رغم هذا حريص على استمرار الاتصالات مع أمريكا...



الطريق إلى كامب ديفيد

■■ قال كيسنجر: إن الرئيس السادات يرفض تماما أن تنسحب القوات المصرية من أراض استردتها فى الحرب.. وسوف أبلغ الإسرائيليين بهذا الموقف كما أكدت للرئيس السادات بأننى شخصيا لا أقبل هذا الطلب الإسرائيلى لأنها أرض مصرية فى المقام الأول ■■

أزمة كيسنجر

حرب أكتوبر

وعملية السلام

فى الشرق الأوسط

كشف البيت الأبيض عن الوثائق السرية لسنوات الرئيس الأسبق ريتشارد نيكسون (من سنة ١٩٦٨ إلى سنة ١٩٧٤)، ومن بينها الوثائق السرية لهنرى كيسنجر، الذى كان مستشاراً للأمن القومى، ثم وزيرا للخارجية. ومن بين هذه الوثائق، محاضر اجتماعات كيسنجر مع الحكام العرب والإسرائيليين خلال الجولات المكوكية التى قام بها سنة ١٩٧٤، السنة التى تلت حرب «أكتوبر ـ حرب رمضان» بين العرب وإسرائيل، عندما عبرت القوات المصرية قناة السويس شرقا، وحررت جزءا من سيناء (التى كانت إسرائيل احتلتها فى حرب سنة ١٩٦٧).

وفى نفس الوقت تقدمت القوات السورية جنوبا، فى مرتفعات الجولان (التى احتلتها إسرائيل أيضا فى حرب سنة ١٩٦٧).

لكن إسرائيل استنجدت بأمريكا، وأمر الرئيس نيكسون بإرسال إمدادات سريعة لكميات كبيرة من الأسلحة، مما ساعد القوات الإسرائيلية على وقف تقدم القوات السورية ثم احتلال جزء أكبر من الجولان.

كما ساعدت القوات الإسرائيلية على عبور قناة السويس غربا فيما سمى «ثغرة الدفرسوار».

وبعد وقف إطلاق النار، بدأ كيسنجر جولات مكوكية لفك اشتباك القوات المصرية والإسرائيلية فى قناة السويس، وأيضا فك اشتباك القوات السورية والإسرائيلية فى الجولان.

وفيما يلى مقتطفات من محاضر اجتماعات هنرى كيسنجر مع جولدا مائير «رئيسة وزراء إسرائيل».

«سرى جدا» للاطلاع فقط.

مذكرة الحديث.

المشتركون: الجانب الإسرائيلى: رئيسة الوزراء جولدا مائير، السفير الإسرائيلى فى واشنطن، سمحا دينتز، الجانب الأمريكى: وزير الخارجية د. هنرى كيسنجر وعضو مجلس الأمن القومى، بيتر ردمان.

التاريخ: السبت ١٢/١/١٩٧٤

الوقت: ٨,١٥ ـ ٩مساء

المكان: منزل رئيسة الوزراء ـ القدس

المحضر

– **كيسنجر:** كيف حالك؟ تبدين أحسن صحة مما توقعت (كانت مريضة).

– **رئيسة الوزراء:** حتى أمس كان الألم شديدا جدا، لم أكن قادرة على الجلوس، كنت أحس بالراحة فقط أفقيا، عندما أرقد على ظهرى، كيف حال السادات؟

– **كيسنجر:** هو أيضا مريض، أصيب بالأنفلونزا. حتى الآن

قابلت كل الحكام العرب، وأعتقد أن السادات أسهلهم فى التفاوض.

– **رئيسة الوزراء:** هل هذا صحيح؟ نحن لم نضع له أهمية كبيرة.

– **كيسنجر:** السادات قال لى رأيه فى الروس، ربما كذب علىَّ، لكنه أمر بإلغاء زيارة .....

– **رئيسة الوزراء:** تقصد إلغاء زيارة وزير الخارجية، فهمى إلى موسكو؟

– **كيسنجر:** نعم، نحن نتسلم تقارير من وكالات استخباراتنا عن السادات وعن رأى زملائه العرب فيه، زملاؤه الحكام العرب يقولون إنه يريد انسحاب القوات الإسرائيلية من قناة السويس، ثم انسحابا من صحراء سيناء، ثم تحويل سيناء إلى منطقة منزوعة السلاح. وهكذا يكون إخراج مصر من مسلسل الحرب مع إسرائيل، ويكون وجد عذرا لعدم دخول مصر فى حرب أخرى معها.

– **رئيسة الوزراء:** سمعت أن القذافى (الرئيس الليبى) وبورقيبة (الرئيس التونسى) يريدان قيام وحدة بين بلديهما.

– **كيسنجر:** أنا أتحدث مع السادات عن الوضع الحالى داخل إسرائيل، وأرجو أن تغفرى لى، تحدثت له عن الحزب القومى الدينى، وعن موقف الحزب المتطرف من الموضوع الفلسطينى، وعن الوضع الصعب الذى أنت فيه، بأنك لا تقدرين الآن على تقديم أى اقتراح عن الفلسطينيين. وأنا قلت للسادات: «لا تغضب الإسرائيليين». والسادات قال: «هذا صحيح» وقال إنه لن يتحدث

عن أي موضوع آخر (يقصد الموضوع الفلسطيني) خلال سنة ١٩٧٤. وأنا اشترطت عليه قبل أن آتي إلى هنا، ألا يثير أي موضوع غير موضوع فك اشتباك القوات الإسرائيلية والمصرية، وهو وافق.

– **رئيسة الوزراء:** هيكل (تقصد محمد حسنين هيكل، الذي كان رئيسا لتحرير جريدة «الأهرام»، وكان مستشارا للرئيس السادات) قال إن مصر لم تكن قادرة على التفاوض لولا الحرب التي أعلنتها.

– **كيسنجر:** نعم، قال ذلك.

– **رئيسة الوزراء:** هيكل عارض كل شيء. قال إنه مثل اتفاقية مؤقتة.

– **كيسنجر:** هيكل في وضع حرج، والعرب يعتقدون أنه أخطأ.

– **رئيسة الوزراء:** المصريون حتى وقت قريب، لم ينظروا إلى أنفسهم كعرب، وعندما تأسست جامعة الدول العربية، (سنة ١٩٤٥) لم يكونوا يريدون الانضمام إليها، لكن أنطوني إيدن (الدبلوماسي البريطاني الذي أصبح رئيسا للوزراء، بعد ذلك بعشر سنوات) ضغط عليهم حتى انضموا.

– **كيسنجر:** أنا أتحدث مع الرئيس السوري حافظ الأسد، لكنه لم يقدر على التحايل (يقصد إصرار الأسد على حل المشكلة الفلسطينية، وحديثه الكثير والطويل عن الموضوع الفلسطيني)، لكن السادات يتحدث لعشر دقائق فقط عن فلسطين، حتى يقدر أن يقول للآخرين إنه ناقش الموضوع. السادات لا يتحمس

للموضوع الفلسطيني، مثل بقية الحكام العرب، لكن الرئيس السابق جمال عبدالناصر كان مختلفا عن السادات.

– **رئيسة الوزراء:** هذا صحيح.

– **كيسنجر:** السادات طلب منا اليوم مساعدات لحفر قناة جديدة إلى الشرق من قناة السويس لاستعمال ناقلات البترول العملاقة.

– **السفير دنيتز:** سمعنا أنه يريد حفر قناة إلى الغرب من قناة السويس.

– **كيسنجر:** السادات يريد توسيع قناة السويس الحالية لتكون لاتجاه واحد، والقناة الثانية التى يريد حفرها ستكون لاتجاهين. السادات طلب مساعدة أمريكية، وأنا قلت له: «أطلب المساعدات من العرب الذين عندهم المال» وهو قال: «أنا أريد علاقة مع الغرب لموازاة علاقتى مع العرب».

أعتقد أنه يريد نصف التكاليف من السعوديين والنصف الآخر من الأمريكيين، ونحن من جانبنا سنقدم له كل دعم يريده، لكننا لم ندرس تفاصيل الموضوع، وأنا أعتقد أن إعادة فتح قناة السويس وتحويل سيناء إلى منطقة منزوعة السلاح، معناها أن السادات لن يقدر على إعلان الحرب على إسرائيل مرة أخرى.

– **رئيسة الوزراء:** دالاس أخطأ كثيرا فى موضوع سد أسوان (تقصد جون فوستر دالاس، وزير الخارجية الأمريكية، الذى رفض مساعدة مصر فى بناء السد العالى) بعد سنوات من الثورة المصرية سنة ١٩٥٢. ماذا قال السادات عن موضوع فك اشتباك القوات الإسرائيلية والمصرية فى قناة السويس؟

– **كيسنجر:** لم نتحدث عن هذا الموضـوع. أنا قصدت أن أثير خوف المصريين بأن أقول لهم إن الوضع الإسرائيلى غير مستقر (أى أن إسرائيل ربما لن تقدر على فك اشتباك القوات).

– هذا صحيح.

– **كيسنجر:** أنا قلت للسادات إنك تريدين الانتظار قـليلا، قبل التفاوض حـول فك الاشتباك.. وهذا جعله يقـلق، وجعله يقول إنه أمام خيارين: فك اشتبـاك القوات أو مواصلة الهجوم العنيف على إسرائيل.. والسـادات يريد حلا سريعا، ويريده قـبل أن أعود إلى أمريكا، وأنا قلت له:

– ***«إذا كنت تريد حلا سريعا، لن تحصل على كل مطالبك»، وهو وافق على السـمـاح للسـفن الإسـرائيليـة أن تسـتـعـمل مضائق تيران (فى خليج الـعقبـة) وباب المندب (فى جنوب البحر الأحمر)..***

– **رئيسة الوزراء:** نحن لا نحتـاج لموافقة اسـتعمال مـضيق تيران لأننا لن ننسحب من شرم الشيخ.

– **كيسنجر:** استخباراتنا تقول إن السادات يواجه مشاكل من اليـسـاريين المصـريين والدول العـربية المتـطرفة (مـثل سـوريا والعراق وليبيا)... السادات عنده مشاكل كثيرة.

– **رئيسـة الوزراء:** السادات يعـرف كيف يتـخلص من الذين يختلفون معه.

– **كيسنجر:** لكن السادات حقيقة يواجه مشاكل كثيرة، الرئيس الجزائرى بومدين قال إن عواطفـه مع سوريا، لكن عقله مع مصر (أى أن مصر هى حجر الأساس فى الصراع مع إسرائيل).

– **رئيسة الوزراء:** ليس هناك خطر على الأسد، سيبقى فى الحكم.

– **كيسنجر:** أعتقد أنه من الأفضل بالنسبة لك بداية الاتصال مع السوريين، بداية بقائمة أسرى الحرب، وجمع شمل العائلات.. هذه العملية ستستغرق ما بين شهرين أو خمسة أشهر.

– **رئيسة الوزراء:** السوريون رديئون والتعامل معهم صعب..

– **كيسنجر:** أنا أفضل التعامل مع السوريين، وآمل ألا يتهمونى بأنى أخونهم.. والسادات قال لى إن السوريين يجب أن يتعاونوا مع جمعية الصليب الأحمر الدولية ويقدموا قوائم بالأسماء. والسادات أقسم لى أنه كتب خطابا للأسد عن هذا الموضوع.

– **رئيسة الوزراء:** ليس سهلا التعامل مع الأسد.

– **كيسنجر:** الأسد أسوأ من السادات فى التعامل معه، لكن السادات فى الجانب الآخر، يقول إن عبدالحليم خدام «وزير خارجية سوريا» هو الأسوأ، وأنه لئيم، وأنه جاسوس للروس، كما أن الأسد لا يقدر على اتخاذ قرار بمفرده من غير مشورة حزب البعث السورى. وفى الجانب الآخر يقول السادات إن حزب البعث السورى فيه جواسيس روس، وجواسيس عراقيين.

– **رئيسة الوزراء:** نعم، حزب البعث السورى فيه جواسيس...

– **كيسنجر:** السادات يريد حل مشكلة وجود القوات الإسرائيلية غرب قناة السويس فى أسرع وقت ممكن، ويريد قبل عودتى إلى واشنطن، توقيع اتفاقية فك الاشتباك الكيلومتر رقم ١٠١ (فى الطريق إلى القاهرة).

– **رئيسة الوزراء:** لكن هناك أشياء لا أقدر على تنفيذها، هناك قوات مصرية كثيرة شرق قناة السويس، وهناك صواريخ «سام» الروسية التي تحمى المصريين.

– **السفير دينتز:** نحن أجرينا مفاوضات ناجحة في البنتاجون، مع وزير الدفاع الأمريكي شلسنجر. وهذه المرة المفاوضات كانت أحسن من مفاوضات المرة السابقة، وكان الوزير شلسنجر إيجابيا، وقال إنه سينظر في طلباتنا بروح إيجابية، والمسئولون في البنتاجون قالوا لنا: «سنلبى طلبكم، لا تحرضوا علينا كيسنجر». (كيسنجر ضحك، وضحك معه الآخرون).

– **رئيسة الوزراء:** الوزير شلسنجر رفض في البداية إرسال مزيد من الأسلحة لنا، لكننا في النهاية نجحنا في الحصول عليها، وفي نقلها إلى إسرائيل بطائراتنا.

– **كيسنجر:** هذا غباء من جانبهم ألا يعطوكم الأسلحة، حتى إذا كانوا يؤيدون العرب ضدكم، أفضل لهم أن يعطوكم الأسلحة في الوقت الحالي، لأن هناك مفاوضات وتحركات. هذا أفضل من أن يعطوكم الأسلحة في المستقبل، عندما يهدأ الوضع.

– **السفير دينتز:** المشكلة ليست الوزير شلسنجر، المشكلة هي نائبه.

– **كيسنجر:** هذا صحيح.

– **السفير دينتز:** هل تعرف أن شلسنجر يهودى؟

– **كيسنجر:** هل هذا صحيح؟

– **السفير دينتز:** ولد يهوديا، لكنه اعتنق المسيحية عندما تزوج مسيحية.

- **كيسنجر:** شلسنجر يهودى، هذا خطر!

(انتهى الاجتماع فى الساعة الثامنة وخمسين دقيقة، وبعدها وحتى الساعة التاسعة تفاوض كيسنجر ورئيسة الوزراء منفردين).

يبدو أن هناك طريقتين للتعامل مع الإسرائيليين:

القوة أو المفاوضات السلمية، لكن كثيرين ممن تفاوضوا مع الإسرائيليين اشتكوا من مناوراتهم ومماطلاتهم ومماحكاتهم ومراوغتهم ومداهناتهم.

لقد اشتكى من ذلك المصريون، الأردنيون، والآن يشكو من ذلك الفلسطينيون.

حتى هنرى كيسنجر «وزير خارجية أمريكا الأسبق» اشتكى من ذلك، كما توضح وثائق البيت الأبيض السرية التى كشفت فى واشنطن.

الوثائق تغطى فترة ما قبل ثلاثين سنة، عندما قام كيسنجر بجولات مكوكية فى الشرق الأوسط، بعد حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣، وكان الهدف هو فك اشتباك القوات المصرية والإسرائيلية فى قناة السويس، والقوات السورية والإسرائيلية فى مرتفعات الجولان.

فى ذلك الوقت، وحتى الآن كان كيسنجر ولا يزال منحازا إلى جانب إسرائيل، فكيسنجر «اليهودى» لا ينفى تأييده لإسرائيل.

لكن وثائق البيت الأبيض السرية توضح أن كيسنجر نفسه لاحظ هذه المناورات، المماطلات، المماحكات، المراوغات والمداهنات،

بل اشتكى منها خلال اجتماعه مع الرئيس المصرى أنور السادات، بل ودافع عن الجانب المصرى فى بعض النقاط، حتى بدت المفاوضات وكأنها بين كيسنجر وإسرائيل لا بين مصر وإسرائيل، وهنا مقتطفات من وقائع اجتماع بين كيسنجر والسادات.

«البيت الأبيض»، واشنطن.

مذكرة حديث

سرى جدا، حساس، للإطلاع فقط.

المشتركون:

فى الجانب المصرى أنور السادات «رئيس جمهورية مصر العربية»، إسماعيل فهمى «وزير الخارجية»، المشير محمد عبدالغنى الجمسى «القائد العام للقوات المصرية».

فى الجانب الأمريكى هنرى كيسنجر وزير الخارجية، السورث بانكر السفير المتجول ورئيس الوفد الأمريكى لمفاوضات السلام فى جنيف جوزيف سيسكو مساعد وزير الخارجية للشرق الأدنى، بيتر ردمان عضو مجلس الأمن القومى.

التاريخ: الاثنين ١٤يناير ١٩٧٤.

الوقت من العاشرة والنصف صباحا إلى الثانية ظهرا.

المكان: منزل الرئيس أسوان، مصر.

من الساعة العاشرة والنصف صباحا إلى العاشرة وخمس وأربعين دقيقة صباحا، اجتمع الوزير كيسنجر مع الرئيس السادات منفردين، وناقشا الخريطة التى حملها كيسنجر معه من إسرائيل (عن فك اشتباك القوات المصرية والإسرائيلية فى قناة

السويس)، بعدها انضم إلى الاجتماع بقية من أعضاء الوفدين.

– **كيسنجر:** عملنا أمس فى إسرائيل طوال الليل لمواصلة جهودنا، سيسكو عمل حتى الرابعة صباحا، وأنا استيقظت فى السابعة والنصف وواصلت ما كان يعمل من اتصالات ودراسات.

– **السادات:** الصحف قالت صباح اليوم أنكم اتفقتم مع الإسرائيليين على تشكيل لجنة عمل (هنا استدعى المصورون الصحفيين لالتقاط الصور).

– **كيسنجر :** اتفقنا على تشكيل لجان عمل .

أنا قلت للصحفيين إن خبرا مهما سيعلن الليلة، وقلت لهم إن الخطة التى ستعلن إما ستكون «خطة كيسنجر» أو «خطة سيسكو» (ضحك).

وزير الخارجية فهمى: كل شىء يعتمد على نجاح الخطة (ضحك)، وأنا قلت لسيسكو، إذا نجحت خطته، سنرسله إلى وادى الملوك ليحنط، ويحفظ مثل الفراعنة (ضحك).

– **كيسنجر:** مَنْ الذى يريد تحنيط سيسكو والاحتفاظ به؟ (ضحك). أريد أن انقل لكم ما قلت للرئيس قبل أن تنضموا للاجتماع.. قلت له: أنا هذه المرة كررت للإسرائيليين أن يقدموا خطة جادة وواضحة لانسحاب قواتهم، وأن يوافقوا على اللعب معنا وتقديم مقترحات، ثم تغييرها. فى البداية قالوا إنهم سيسحبون قواتهم من الأراضى المصرية، شرط أن تحل محلها قوات تابعة للأمم المتحدة، لا قوات مصرية. أنا رفضت هذا الاقتراح.

ثم قالوا إنهم سيسحبون قواتهم، على أن تحل قوات الأمم

المتحدة فى نصف المنطقة، والقوات المصرية فى النصف الثانى، وأنا رفضت هذا الاقتراح أيضا، وقلت لهم إننى لا يمكن أن أقدمه للرئيس السادات، لأن هذه أرض مصرية.

ثم طلبوا منى، على أى حال أن أنقل الاقتراح للرئيس السادات، ثم أعود إليهم، رفضت وقلت إن هذه مضيعة للوقت. وأخيرا قدموا اقتراحا بأن تتمركز قوات الأمم المتحدة بين القوات الإسرائيلية والمصرية وقالوا إنهم جادون هذه المرة.

نقلت هذا للرئيس السادات وقلت له إنا أخلاقيا، لا أقبل أن تنسحب القوات المصرية من أراض مصرية استردتها، وهى تابعة لها. وقلت له: أنا لست صاحب القرار، لكننى أخلاقيا، لا أقبل هذا الطلب. وقلت له: أنا سأعود إلى إسرائيل وأقول لهم إن الرئيس السادات رفض الانسحاب من أراض استردها، وهى أراض مصرية فى المقام الأول.

– **السادات:** أنا قلت للوزير كيسنجر أن يقول للإسرائيليين أنا سأوافق إذا تمركزت قوات الأمم المتحدة أمام الخط الأمامى للقوات المصرية (فى المنطقة التى تحتلها القوات الإسرائيلية).

– **كيسنجر:** أنا متأكد من أن الإسرائيليين لن يوافقوا على ذلك؟

– **السادات:** لن يوافقوا على الخط الأمامى لقواتنا؟

– **كيسنجر:** نعم، لن يوافقوا على ذلك، أنت طلبت، منى أناقش معهم فى هذه النقطة، لكننى متأكد أنهم لن يوافقوا عليها... وحتى إذا وافقوا، كانوا قالوا لى إنهم سيحتاجون إلى ثلاثة أشهر لإكمال الانسحاب، وأنا قلت لهم إن هذه الفترة طويلة، ثم قالوا إنهم

يحتاجون إلى شهرين، وأنا قلت لهم إن هذه الفترة طويلة أيضا، وسأرى فى زيارتى القادمة ماذا سيقولون...

- **السادات:** هذا صحيح؟

- **كيسنجر:** على أى حال أنا قدمت للرئيس السادات الخطة الإسرائيلية النهائية التى حصلت عليها منهم، بعد جهد كبير، وعذاب شديد، لا يصدق. رغم أنى أعرف أن الرئيس السادات لن يقبلها.

- **السادات:** هذه خطة معقدة وتحتاج إلى تبسيط.

- **كيسنجر:** دعنى أقول لك خطتهم، عندهم سبعة شروط رئيسية، لا بد من تنفيذها قبل أن ينسحبوا:

أولا: تأكيد وقف إطلاق النار، وأنا قلت لهم هذا شرط سهل.

- **السادات:** نعم.

- **كيسنجر:** الشرط الثانى: فتح طريق باب المندب (جنوب البحر الأحمر) للسفن الإسرائيلية، وأنا قلت لهم إن هذا شرط سهل أيضا. الشرط الثالث: السماح للسفن الإسرائيلية باستعمال قناة السويس، عندما تنظف، وتفتح للملاحة مرة أخرى.

- **السادات:** هذا موضوع سياسى وليس عسكريا.

- **كيسنجر:** أنا أنقل لك ما قالوا فقط. الشرط الرابع: انسحاب كل القوات والمتطوعين الأجانب من مصر (يقصدون القوات المغربية والجزائرية وغيرها، المتطوعين من دول عربية أخرى الذين وصلوا إلى مصر لدعمها فى حرب ١٩٧٣ ضد إسرائيل).

- **السادات:** هذا اقتراح سخيف.

- **كيسنجر:** الشرط الخامس: تحديد أجهزة لمراقبة ومتابعة

تنفيذ الاتفاقية، وهذا شيء مفهوم، والشرط السادس أنا لا أفهمه جيدا، وهو عن عدم التدخل في رحلات الطائرات المدنية.

– **سيسكو:** يقصدون أن تسمح مصر بمرور الطائرات الإسرائيلية فوق أراضيها إلى الدول الإفريقية ومنها.

– **كيسنجر:** أعتقد أن هذا يخص مفاوضات السلام النهائية.

– **السادات:** إنهم يريدون رفع المقاطعة عنهم، هذا موضوع سياسي وليس عسكريا.

– **السادات:** (بعد تبادل الحديث مع أعضاء الوفد المصرى): هل يمكن تشكيل لجنة عمل من الجانبين لبحث هذه المواضيع؟

– كيسنجر: نعم، هذا ممكن، لكن أعتقد أن تشكيل اللجنة لا يكفي، ولابد أن نحدد للإسرائيليين ما يجب أن تفعله اللجنة.

– **السادات:** هذا صحيح.

(في الساعة الثانية عشرة خرج الوزير كيسنجر والرئيس السادات للحديث معا منفردين، واستمر باقى أعضاء الوفدين في الحديث):

– **وزير الخارجية فهمي:** الإسرائيليون يريدون المعاملة بالمثل، لكن كيف المعاملة بالمثل بالنظر لدباباتهم ودباباتنا؟ هذا شيء غير منطقي نحن ندافع عن وطننا، ودباباتهم لا تدافع، دباباتهم في أرض مصرية...

– **(لا يرد أحد من الجانب الأمريكي).**

– **الجمسى:** الإسرائيليون يريدون الانسحاب قليلا ثم يفعلون ما يشاءون، وفي الوقت نفسه المطلوب منا أن ننسحب لمسافة بعيدة بشروط صعبة.

– **فهمي:** كيف يريدون منا أن نسحب قواتنا من الأراضى التى سيطرت عليها شرق قناة السويس وهى أرض مصرية؟

– **سيسكو:** أنا أفهم معارضتكم لمبدأ المعاملة بالمثل.

– **فهمي:** هذه عملية سياسية لا عسكرية، الانسحاب من جزء من أراضينا شرط!!. إنهم يريدون ضمان سلامتهم وفى الوقت نفسه تهديد سلامتنا.

– **الجمسى:** خط دباباتنا ومدافعنا مهم بالنسبة إلينا، لماذا يريدون تغييره؟

– **سيسكو:** قالوا إنهم سيغيرون خطهم؟ وقالوا إنهم سيقبلون أى تنازلات مثلها.

– **فهمي:** هل لاحظت أنهم يغيرون رأيهم المعاملة بالمثل وأحيانا أخرى يرفضونها منطقة أمنية لهم؟ لكنهم يرفضونها لنا..

– **(لا يرد أحد من الجانب الأمريكى).**

– **الجمسى:** إنهم يريدون تخفيض قواتنا العسكرية فى المنطقة التى سينسحبون منها، لتصبح من دون فعالية، بل لتصبح أضعف من قوات الشرطة بدلا من الاعتماد على قوات الشرطة فى تلك المنطقة.

– **(لا أحد يرد من الجانب الأمريكى) .**

– **الجمسى:** بالإضافة إلى ذلك، إنهم يريدون وضع قوات الأمم المتحدة فى منطقتنا لا فى منطقتهم...

– **(لا أحد يرد من الجانب الأمريكى) .**

– **فهمي:** هذا يوضح خطتهم الحقيقية، إنهم يريدون تغيير كل نتائج حرب أكتوبر، سياسيا وعسكريا، نحن عندنا شرطة خاصة

من النوبة لحماية حدودنا، هؤلاء أفضل لنا من القوات العسكرية المصرية القليلة التى يريدون أن تبقى فى المنطقة التى سينسحبون منها.

– (لا يرد أحد من الجانب الأمريكى) .

– **الجمسى:** هذه هى نفس الشروط التى نقلها لنا الجنرال ياريف.

– **سيسكو:** لكن هذه الشروط وافق عليها مجلس الوزراء الإسرائيلى.

– **الجمسى:** مجلس الوزراء الإسرائيلى وافق على هذه الشروط؟

– **سيسكو:** نعم.

– **الجمسى:** أعتقد أنهم قدموا هذه الشروط بهدف واحد، هو أن نرفضها...

– **ردمان:** الإسرائيليون لم يعطونا أرقاما عن عدد محدد للدبابات، فقط قالوا لنا إنه لا بد من المعاملة بالمثل.

– **سيسكو:** الإسرائيليون يريدون عددا مماثلا لقوات الجانبين.

– **الجمسى:** أيسمح لى وزير الخارجية بالحديث عن موضوع الأسرى المصريين. إنهم لا يريدون إرجاعهم لنا. إذا أرجعوهم، سيبرهنون على حسن نيتهم.

– **سيسكو:** أنا متأكد من أن الإسرائيليين سيعيدون الأسرى إذا وصلتم إلى اتفاقية معهم، لكنهم يشتكون من أن القوات المصرية تطلق عليهم النار فى المنطقة التى يحتلونها، قالوا لنا: «قولوا للمصريين فى وضوح، نحن صابرون على إطلاق النار

علينا من القوات المصرية، لكننا لن نصبر كثيرا»، قالوا إنكم تطلقون النار عليهم لأنهم يحصنون مواقعهم، لكنهم لا يطلقون النار عليكم وأنتم تحصنون مواقعكم، هذا ما قالوه لنا وواجبنا أن ننقل لكم ما قالوا.

– **فهمي:** هم قالوا لنا الكلام نفسه فى اجتماعات جنيف.

– **سيسكو:** نعم، هم يقولون إنكم تحصنون مواقعكم، لذا يجب أن تسمحوا لهم أن يحصنوا مواقعهم.

– **فهمي:** لكنهم فى أرض مصرية.

– **سيسكو:** يا إسماعيل، لا تقدر على استعمال هذا المنطق فى كل مرة.

– **الجمسي:** أنا تعهدت للجنرال ياريف وأعطيته كلمة شرف، بأننا سنطلق سراح الجاسوسين الإسرائيليين: مزاحى وليفى... لكنهم حريصون على جاسوس واحد، هو دان أفيدان، الذى ظل معتقلا لأربع سنوات، وأنا قلت لهم إننا لا نرفض ذلك، بل عندما ذهبت لمفاوضتهم فى الكيلو ١٠١ أخذت معى الجاسوس أفيدان، وكان قصدى أن أبرهن لهم حسن نيتنا.

– **سيسكو:** الإسرائيليون قالوا إنهم لا يشتكون من الطريقة التى تعاملون بها جواسيسهم، لكنهم يشتكون من خرقكم لوقف إطلاق النار.

– **الجمسي:** نحن نقلنا للإسرائيليين أننا سنوقف إطلاق النار عليهم إذا أوقفوا بناء تحصينات عسكرية فى الأراضى التى احتلوها، إنهم يريدون بناء «خط بارليف» ثان (الأول بنوه شرق قناة السويس وهذا الثانى غرب القناة) هذا معناه أنهم يريدون البقاء إلى الأبد.

– **سيسكو:** لم أكن أعرف ذلك.

– **فهمي:** شيء آخر: هناك مرضى فى مدينة السويس يموتون لأن المستشفيات هناك غير كافية، والقوات الإسرائيلية تمنعهم من الانتقال إلى القاهرة أو غيرها، مرضانا يموتون، إذا حدث هذا لمرضاهم كانوا سيحتجون ويصيحون ويبكون.

– **الجمسى:** وهناك المحتجزون فى كبريت، مائة جندى تقريبا، قطعوا الإمدادات عنهم وطلبوا ترحيلهم..

– **(لا يرد أحد من الجانب الأمريكى) .**

– **الجمسى:** ورغم ذلك عاملنا أسرى الحرب الإسرائيليين معاملة طيبة، أخذنا بعضهم إلى القاهرة لزيارة عائلات يهودية ومعابد يهودية.

– **سيسكو:** أنا أتذكر منذ حرب سنة ١٩٦٧ أنكم لم تسيئوا معاملة اليهود المصريين.

(فى الساعة الواحدة والنصف ظهرا عاد الوزير كيسنجر والرئيس السادات إلى قاعة الاجتماعات).

– **كيسنجر :** الرئيس اتفقنا على الآتى: الخط الأمامى للقوات الإسرائيلية لا يحمى إسرائيل، لهذا لا يمكن قبول انسحاب القوات المصرية من أراض مصرية وأنا أقتنعت بهذه النقطة اقتناعا كاملا، وسأعود إلى إسرائيل وأقول لهم إن المصريين يجب ألا ينسحبوا.

– **السادات:** نعم، هذا صحيح.

– **كيسنجر:** لقد رفضنا الشرط الإسرائيلى عن سحب القوات غير المصرية والمتطوعين من مصر، وأيضا شرط السماح للسفن

الإسرائيلية باستعمال قناة السويس وشرط السماح للطائرات الإسرائيلية باستعمال المجال الجوى المصرى.

أما عن شرط السماح للسفن الإسرائيلية باستعمال مضيق باب المندب، فسيكتب الرئيس خطابا لى بهذا المعنى، يبقى شرط عدم سحب قوات الأمم المتحدة إلا بموافقة الجانبين، ما رأيكم؟

– **السادات:** هل يقصدون أن تبقى قوات الأمم المتحدة إلى أجل غير مسمى؟

– **كيسنجر:** نعم.. وأنا قلت لهم، إنهم لا يقدرون على وضع شرط دائم فى اتفاقية مؤقتة، على أى حال سأقول لهم إنكم رفضتم هذا الشرط، وقلت للرئيس السادات إن الولايات المتحدة لا تريد أن تضعه فى وضع حرج، ولا أن تضعف موقفه، وهو أكثر القادة العرب اعتدالا، والولايات المتحدة سعيدة بالتعامل معه...



القراءة في الضباب

أزمة كيسنجر

حرب أكتوبر

وعملية السلام

فى الشرق الأوسط

■■ كان السياسى الأمريكى العتيد يرى أنه من الحماقة أن تدخل مصر وسوريا حرباً يعلمان يقيناً أنهما ستمنيان بالهزيمة فيها ..

وقد اتضح بعد ذلك أن هذا السياسى الذى كان الجميع يشهدون له ببعد النظر قد فشل فشلاً ذريعاً فى رؤيته المسبقة لحرب أكتوبر عام ١٩٧٣ . ■■

المثير بحق في هذا الكتاب هو اعتماده بشكل أساسي في سرد الوقائع الواردة به على نصوص المحادثات والاتصالات التي أجراها « هنري كيسنجر » مع كبار مسئولي وقادة العالم حينما كان بمثابة المحرك الأول للسياسة الخارجية الأمريكية خلال أزمتين من أخطر الأزمات التي واجهتها أمريكا في النصف الأول من سبعينيات القرن العشرين ، وبينما كانت الأزمة الأولى هناك بعيداً عنها بآلاف الأميال في فيتنام حيث لاقت القوات الأمريكية هناك هزيمة منكرة لا تزال كوابيسها تؤرق الأمريكيين حتى هذه اللحظة ، كانت الأزمة الثانية في قلب منطقة الشرق الأوسط حيث دارت رحاها في تلك الأيام المجيدة من أكتوبر عام ١٩٧٣ .

ويتتبع كتاب « الأزمة » سلسلة الاتصالات المكثفة التي أجراها كيسنجر فيما يتعلق بحرب أكتوبر التي أطلق عليها اسم «دبلوماسية التليفون » ، وترسم هذه الاتصالات صورة براقة لرجل دولة شديد الحيوية يستخدم كل ما لديه من سلطات وقدرات لتحقيق الأهداف التي يرمي إليها وفي ذلك يستخدم

جميع الوسائل المتاحة من تهديد ووعيد أو مماطلة ووعود متفائلة . وتكشف هذه الاتصالات عن التحركات النشطة التى قام بها « كيسنجر » على جميع الأصعدة واتصالاته التى لم تهدأ مع المسئولين فى مصر وإسرائيل وبريطانيا والاتحاد السوفيتى السابق ، إضافة إلى المسئولين فى الأمم المتحدة وحتى داخل أروقة الإدارة الأمريكية ووزارة الخارجية . وتتزامن هذه الاتصالات مع بدء ظهور بوادر الفضيحة التى هزت أمريكا فى تلك الأثناء وهى فضيحة ووترجيت التى تورط فيها الرئيس الأمريكى الأسبق ريتشارد نيكسون .

وتكشف نصوص هذه المحادثات والاتصالات الهاتفية عن الاستراتيجية التى اتبعها « كيسنجر » للتوصل إلى اتفاق لوقف إطلاق النار بين القوات المصرية والإسرائيلية خلال حرب أكتوبر ، وكان النجاح الأكبر الذى أحرزه السياسى الأمريكى المحنك فى هذه الأونة هو قدرته على إنهاء القتال بالشكل الذى أدى إلى تقليص النفوذ السوفيتى فى المنطقة متزامنا مع تأكيد تضامن الإدارة الأمريكية مع إسرائيل ، وفى الوقت نفسه كسب ثقة الدول العربية فى قدرة الولايات المتحدة على إدارة المفاوضات الخاصة بالتسوية السلمية فى الشرق الأوسط .

أما الاتصالات الخاصة بحرب فيتنام ، فتكشف عن المحاولات المستميتة التى بذلها « كيسنجر » لإخراج القوات الأمريكية من المستنقع الفيتنامى بأكبر قدر ممكن من الكرامة ، فلقد وجد الرجل نفسه محاصرا بين شقى الرحى ، فالقوات الموالية للشطر الشمالى من فيتنام تدق أبواب « سايجون » عاصمة فيتنام

الجنوبية ، والكونجرس يصم آذانه عن الاستماع للنداءات المطالبة بالموافقة على الاعتمادات الخاصة بتقديم مساعدات عسكرية طارئة .

وكانت الأزمة التى مرت بها الولايات المتحدة فى فيتنام صناعة أمريكية خالصة أجبرت « كيسنجر » على إجراء اتصالات مع العديد من الأطراف فى داخل البلاد وأغلبهم كانوا من بين أعضاء الكونجرس والصحفيين والكتّاب ، وكان موقف الكونجرس خلال الأزمة كما يكشف الكتاب مبعث ضيق « كيسنجر » حتى قال فى حوار له مع وزير الخزانة الأمريكى فى ذلك الوقت « جون كونالى » : **لقد بدأت المرحلة الصعبة وبدأنا فى تجرع الألم كل ذلك بسبب المناقشات التى لا تنتهى فى الكونجرس حول فيتنام** ، وفى حديث آخر دار بين « كيسنجر » وبين مساعده وقتذاك «برنت سكوكروفت » قال كيسنجر « **إننا فقدنا الهند الصينية ولكننى سأجعلهم يدفعون الثمن لقد أكدت اليوم مراراً أن ما حدث هو خطأ الكونجرس بالدرجة الأولى** » .

وكانت المهمة الأكثر صعوبة التى واجهت « كيسنجر » إنقاذ الأمريكيين الذين بقوا فى « سايجون » قبل فوات الأوان ، ولكن الدراما الحقيقية كانت فى نهاية الحرب عندما بدا أن المشكلة لم تعد تكمن فى ملايين الدولارات التى أنفقت ولا آلاف الجنود الأمريكيين الذين قتلوا بل صارت المشكلة تتمحور حول اعتماد مساعدات إضافية عاجلة وسط مناقشات محتدمة حفل بها الكونجرس فى هذا الشأن ، وهو الجدل الذى تواصل فى واشنطن لفترة طويلة وأدى إلى تعثر السياسات الأمريكية حول الحرب فى فيتنام .

ويمكن النظر للكتاب باعتباره رؤية فريدة من نوعها للتعقيد الذى يشوب كواليس السياسة والدبلوماسية وهو ما يصفه المؤرخ والدبلوماسى البريطانى « هارولد نيكولسون » فى دراسة أجراها حول السياسة الخارجية والدبلوماسية فى الحقبة التى أعقبت الحرب العالمية الأولى بـ « القراءة فى الضباب ».

ويظهر الكتاب أن « كيسنجر » ومساعديه فى وزارة الخارجية الأمريكية لم يحفلوا كثيراً سواء خلال حرب أكتوبر أو فى الفترة التى سبقت اثناء التدخل العسكرى الأمريكى الدامى فى فيتنام بتتبع المواقف المعلنة والحقائق المكشوفة بل كان التركيز الأكبر هو معرفة ما يدور فى الكواليس سواء على طول قناة السويس حيث دارت الحرب بين مصر وإسرائيل أو فى هضبة الجولان التى كانت تشهد مواجهات دامية بين الجيشين السورى والإسرائيلى، أو فى ردهات الكرملين مقر الحكم السوفيتى العتيد، أو حتى فى قلب وزارة الدفاع الأمريكية فى واشنطن أو فى مطار سايجون، وقد كان لهذه المعلومات أحياناً آثار سلبية بسبب وفرتها الهائلة وتناقضها فى بعض الأوقات..

وتثير الوقائع الواردة فى كتاب « كيسنجر » أيضاً الذكريات الخاصة ببدايات التدخل الأمريكى الواسع فى شئون الشرق الأوسط ومنطقة جنوب آسيا، وتكشف عن أن السياسى الأمريكى العتيد كان يرى أنه من الحماقة أن تدخل مصر وسوريا حرباً يعلمان يقيناً أنهما ستمنيان بالهزيمة فيها وهو ما اتضح فيما بعد أن هذا السياسى الذى كان الكل يشهد له ببعد النظر قد فشل فيه فشلاً ذريعاً، حيث اضطر « كيسنجر » فيما بعد

للاعتراف بأنه يتفهم الموقف المصرى من هذه الحرب وهو الموقف الذى كان يستهدف تحريك الأوضاع على الجبهة ، وتأكيد أن الوضع الذى كان قائماً قبل الحرب قد صار غير محتمل ومن المحتم له أن ينتهى .

ويشير الكتاب إلى أنه فيما يتعلق بعملية إجلاء الأمريكيين من سايجون التى كانت على وشك السقوط فى أيدى القوات الشيوعية كان الأمر أكثر رتابة فلم يكن بوسع « كيسنجر » الكثير لفعله سوى إجراء اتصالات تلو اتصالات مع المسئولين فى وزارة الدفاع الأمريكية « البنتاجون » لإقناعهم بتوفير رحلات طيران إضافية بعد أن اكتشف فجأة أن ١٢٩ من رجال مشاة البحرية الأمريكية « المارينز » لا يزالون فى العاصمة المحاصرة وهو ما أثار دهشته الشديدة ، وجعله يكتب فى تعليقه على هذا الأمر « يبدو أن فيتنام لا تزال ترفض أن تمضى فى يسر » .

وتبدو المحادثات التى وردت بنصوصها فى هذا الكتاب ممتعة ليس فقط لما كشفت عنه من أساليب تحكم السياسة الخارجية فى وقت الأزمات ، بل أيضاً لما تكشف عنه من تفاصيل ما دار فى أروقة الإدارة الأمريكية فى مرحلة شديدة التعقيد لاقت انتقادات متعددة من قبل أطراف عدة ، ويمكن لـ « كيسنجر » دائما أن يدافع عن نفسه فى وجه أى انتقادات بأنه لم يكن سوى « ترس فى آلة » .

والبعض من المتعاطفين مع « كيسنجر » يقول إنه قام بما قام به من تحركات سياسية مدفوعاً بالموقف الصعب الذى كان يمر به حيث كان محاصراً بين اتحاد سوفيتى قلق وموقف خطير فى

الشرق الأوسط ورئيس مهتز كالرئيس نيكسون وكونجرس متقلب المزاج في ظل ظروف حرب كحرب فيتنام ، ويضيف هؤلاء أن « كيسنجر » كان يسعى لإنقاذ ما يمكن إنقاذه وسط هذه الفوضى ، وبالرغم من كل شيء إلا أن الحكم في النهاية - كما يعلم السيد كيسنجر يقيناً - يبقى للتاريخ وحده .

وقد أثار كتاب « كيسنجر » الجديد ضجة عارمة في الولايات المتحدة دفعت العديد من الشبكات التليفزيونية والإذاعية فضلاً عن الصحف والمجلات لإجراء حوارات مستفيضة معه عما جاء في هذا الكتاب من أسرار تميط اللثام عما دار في مرحلة دقيقة من مراحل العمل الدبلوماسي في الولايات المتحدة ومن بين هذه الحوارات حوار أجراه « جيم ليرير » على شاشة شبكة « بي بي إس » الأمريكية .

ولأهمية هذا الحوار وخطورته كان من الضروري أن نورد نصه هنا :

جيم ليرير : حوارنا هذا مع وزير الخارجية الأسبق « هنري كيسنجر » حول كتابه الذي يعود بنا إلى أجواء أزمتين واجهتا الولايات المتحدة في عامي ١٩٧٣ و ١٩٧٥ في الشرق الأوسط وفيتنام .. السيد كيسنجر ما هي أسباب اختيارك لهاتين الأزمتين بالتحديد ؟

كيسنجر : إن الحرب في الشرق الأوسط بكل ما اكتنفها من صعوبات تمثل نجاحاً باهراً للولايات المتحدة ، لقد تمكنا من حماية حليف لنا ، وقلصنا الدور السوفيتي في الشرق الأوسط ، وتجنبنا نشوب حرب نووية ، وبدأنا عملية سلام قادت بعد سنوات عدة

إلى إبرام ثلاث اتفاقات بين العرب وإسـرائيل ، أما الانسحاب من فيتنام فكان بمثابة مأساة للأمريكيين وكان انتكاسة لجهود بذلتها خمس إدارات أمريكية متعاقبة وكانت هذه المأساة فى جزء منها ترجع إلى الانقسامات الداخلية فى أمـريكا ، وكل ما أردت توضيحه هو النتيجة النهائية لهذه الانقسامات وكيف كانت الأجواء فى ذلك الوقت ، عندما كان قصارى ما يمكن أن تفعله هو أن تحاول الحفاظ على ماء الوجه وإنقاذ أكبر عدد ممكن من أرواح الأمريكيين الذين كانوا يعتمدون عليك .

ليرير : لقد كانت الوسيلة التى اعتمدت عليها فى تناول هاتين الأزمتين هى نصوص الاتصالات الهاتفية التى أجريتها أو تلقيتها بوصفك وزيراً لخارجية أمريكا فى تلك الفترة .. كيف حصلت على هذه المحادثات ؟

كيسنجر : حسنا .. لقد تم إعداد نصوص هذه المحادثات حتى يمكننى الاستعانة بها ، إذ أننى لم أكن أملى مذكرة بمحتويات كل اتصال هاتفى كنت أجريه أو أتلقاه ، ففى بعض الأحيان كان عدد هذه الاتصالات يبلغ نحو عشرة اتصالات فى الساعة الواحدة إذا ما كان الموقف يتغير بسرعة .

ليرير : على سبيل المثال ، كنت أنت فى ذات مرة على الهاتف مع « اناتولى دوبرنين » الذى كان وقتها سفير الاتحاد السوفيتى فى الولايات المتحدة وكنتما تتناولان الوضع فى الشرق الأوسط حين قلت إن الحرب قد تندلع قبل ..

كيسنجر « مكملاً » : « قبل أن أنهى الكلمات التى كنت أتفوه بها » ، كان هذا قبيل نشوب الحرب فى الشرق الأوسط مباشرة ،

وكانت لدينا معلومات بإمكانية اندلاع القتال وكنا في السادسة صباحاً ، ولذا هاتفت دوبرنين لأبلغه تأكيداً فوضتني الحكومة الإسرائيلية بإبلاغه إياه أن إسرائيل لا تعتزم المبادأة بالهجوم ، وذلك للحيلولة دون وقوع الحرب طالما كان السبب فيها خشية وقوع هجوم إسرائيلي .

ليرير : هذا الإبلاغ كان يستهدف المصريين والسوريين ؟

كيسنجر: نعم المصريون والسوريون .. كنت أحاول أن أبلغ الرسالة إليهما عبر السفير السوفيتي ، ولكننا لم نكن نعلم يقيناً متى ستقع الحرب . وعندما وقعت الحرب بالفعل لم نكن نعرف من هو الطرف البادىء ، وأمضيت مع دوبرنين ساعتين على الهاتف لنبحث هذا الأمر لكنني كنت على يقين بأن إسرائيل لن تشن الحرب في يوم مقدس بالنسبة لليهود مثل يوم كيبور .

ليرير : إذن سكرتيرتك هي مَنْ قامت بتسجيل هذه المحادثات.. هل ذلك يعني أنها كانت تستمع إليها ؟

كيسنجر : لم يكن الأمر يتعلق بتسجيل هذه المحادثات بل تدوينها بشكل ما .

ليرير : هل كان لديك مساعدون يستمعون إلى محادثاتك الهاتفية ؟؟

كيسنجر : هذا صحيح ..

ليرير : هل كان مَنْ يتحدثون معك هاتفياً على علم بأن هذه الأحاديث يتم تسجيلها ؟

كيسنجر : لم يتم إبلاغهم بذلك بشكل واضح ولكن مثل هذه التسجيلات أمر معتاد ومبرر ، وما لم يكن معتاداً هو أن يتم حفظ هذه التسجيلات .

ليرير : وقمت أنت بحفظ هذه التسجيلات واخترت بعضها للنشر فى هذا الكتاب .

كيسنجر : لقد جمعت كل المحادثات التى جرت حتى يعلم القارىء ما الذى كنا نعلمه وما الذى قلناه وقتها ، ولم يتم إجراء عمليات حذف على هذه النصوص ، فقط فى بعض الأوقات التى كنت أجد فيها أن هناك تكراراً لنقطة تم تناولها من قبل كنت أحذف العبارات التى تكرر نفس المضمون، ولكن الكتاب يحوى كل المحادثات الهاتفية التى دارت حول موضوعى الشرق الأوسط وفيتنام خلال الفترة التى أوضحت فى الكتاب أننى أغطى الأحداث التى دارت فيها .

ليرير : على أى حال سننتقل إلى فيتنام بعد لحظات ، ولكن الآن لماذا فى رأيك بعد مرور ثلاثين عاماً على حرب أكتوبر لم يتم بعد إحلال سلام شامل ودائم فى منطقة الشرق الأوسط ؟

كيسنجر : ربما لعوامل نفسية وعاطفية .. ليس هذا فحسب .. بل أيضاً يكمن السبب فى نظرة كل طرف من أطراف الصراع لمطالب الطرف الآخر باعتبارها غير مقبولة .. ولذا أتبعنا خلال المرحلة التى سعيت فيها لحل هذا النزاع إلى التقدم بطريقة الخطوة خطوة التى أسفرت فى النهاية عن التوصل إلى عدد من الاتفاقيات ولكننا الآن نفتقر إلى خطوات ملموسة أو حتى خطوات ضئيلة للتقدم ليس ذلك فحسب بل زادت حدة العنف بشكل كبير وهذا هو ما أدى إلى الموقف الذى نحن فيه الآن .

ليرير : أكثر من ذلك فلدينا هذه الأيام العمليات الفدائية .. وقيام إسرائيل باستهداف نشطاء حماس .. أليس ذلك صحيحاً ؟

كيسنجر : بالإضافة إلى ذلك يوجد الموقف الراهن على الساحة الدولية .. عندما كنت فى منصبى كان هناك الاتحاد السوفيتى الذى كان بإمكانه تصعيد التوتر ، الآن لدينا عدد من الدول التى ربما لا تمتلك ذات قدرات الاتحاد السوفيتى ولكن بإمكانها مثل العراق وإيران وسوريا التى تفسح المجال للجماعات الإرهابية للعمل ، لذلك نحن فى موقف صعب للغاية ولكنى أعتقد أننا يجب أن نصل إلى نهاية محددة لهذا الموقف خلال فترة معقولة من الوقت .

ليرير : هل تمتلك الولايات المتحدة القدرة على تحقيق ذلك ؟

كيسنجر : الحقيقة أن الولايات المتحدة لا تملك القدرة على تحقيق ذلك ولكن فى نقطة ما يتعين عليهم أن يتقدموا بفكرتهم - أقصد فكرتنا - حول ما يمكن للفلسطينيين أن يتوقعوه .. وما الذى تستطيع إسرائيل أن تساهم به فى هذا المجال وأن نبلغ الفلسطينيين بأنهم لا يستطيعون أن يضعوا فى خلفية ذهنهم نوعاً من المفاوضات يعد فى حد ذاته عملية استنزاف ويكون الهدف منها فى النهاية تصفية وإزالة دولة إسرائيل . أعتقد أن الجانبين عليهما الآن تفهم حقيقة أنك لا تستطيع أن تفرض إرادتك الخاصة على الطرف الآخر بالقوة وفى مراحل معينة كما تعرف . أعتقد غالباً ما أعود بفكرى لحرب الثلاثين عاماً فى أوربا إننى لا أفكر بشكل عفا عليه الزمن رغم أننى كبير فى السن بما فيه الكفاية لكن هى حرب استمرت ثلاثين عاماً بدأت حول فرض عقيدة ما على البروتستانت والكاثوليك أو العقيدة البروتستانتية والكاثوليكية على الخصم وقد انتهت هذه الحرب بعد ثلاثين عاماً

باتفاق على أن يتسامح كل طرف مع ديانة الطرف الآخر وبأن تكون العقيدة أو الديانة خارج السياسة .

ليرير : إذن .. ربما يمكن أن يتكرر ذلك ؟

كيسنجر : فى بعض الأحيان أعتقد ذلك .

ليرير : والآن نظرة سريعة على فيتنام .. هناك الكثيرون من الناس بدأوا يقولون الآن إن العراق بدأ فى التحول إلى صورة أخرى لما حدث فى فيتنام . هل تعتقد ذلك فعلاً ؟.

كيسنجر : إنها حرب عصابات والإجابة عن هذا السؤال ربما تحتاج لوقت يفوق الوقت المخصص لهذا البرنامج ولكن على أى الأحوال، فإن نسف أحد المبانى ، وهو مسألة نادراً ما تحدث ، يلفت الكثير من الانتباه . وهؤلاء الذين يدافعون عن الوضع القائم حالياً يتعين عليهم النجاح بنسبة مائة فى المائة طول الوقت بينما لا يحتاج رجال حرب العصابات إلى أكثر من نجاح تتراوح نسبته بين ١ و ٢ ٪ فقط . هذا هو الموقف ببساطة .

أما فى فيتنام فقد كانت هناك ظروف خاصة جداً . كانت هناك أدغال يمكن الاختباء فيها وكانت هناك خطوط إمداد ومصادر تمويل من الاتحاد السوفيتى الذى كان يقدم للفيتناميين كل شىء تقريباً . كانت هناك فرق عسكرية تابعة لفيتنام الشمالية ولذلك فإن القوات الأمريكية التى كانت تدعم حكومة فيتنام الجنوبية كان يتعين عليها أن تواجه قوات نظامية معادية وأيضاً قوات حرب عصابات . وسط كل هذه الظروف يمكن القول إن الأحوال فى العراق أفضل بكثير ويجب أن نتذكر أننا مازلنا فى بداية الشهر الرابع من نهاية العمليات العسكرية فى العراق . لقد كنت

ضمن القوات العسكرية خلال احتلال ألمانيا وهذه المقارنة ليست دقيقة بالضرورة لكن لم تكن هناك قوة بوليس فى ألمانيا وكنا ندير كل شىء هناك لفترة طويلة .

ليرير : نعود مرة أخرى إلى كتابك « الأزمة » ما الذى تريد أن يعرفه الناس من خلال قراءة هذا الكتاب الذى يحتوى فى معظمه على محادثاتك التليفونية التى كانت ذات طابع درامى وقت إجرائها ؟ أقصد ما الذى يتعين على القراء معرفته عن معالجة الأزمة ؟ هل هناك رسالة يحملها الكتاب تريد أن تقولها .. أى هل هناك شىء خاص يجب أن يفعله الآخرون عندما يكونون فى وسط أزمة من هذا النوع ؟

كيسنجر : أعتقد أنه يتعين عليهم تطوير نوع من المشاعر بداخلهم فى مثل هذه الأوقات أو على الأقل إبداء قدر من التفهم لصانع القرار خاصة أنه لا تكون لديه دائماً بالضرورة فكرة واضحة عما يجرى . ولكن المهمة الأساسية والكبرى لصناع القرار يجب أن تكون أولاً هى معرفة ما يجرى ثم تحديد الهدف وبعد ذلك تحديد الوسيلة التى يمكن من خلالها تحقيق الأهداف ثم السعى لإقناع جهات وأطراف عديدة مثل الحكومات الأجنبية وأعضاء الكونجرس ورجال الإعلام . كل ذلك يجب أن يتم تناوله بشكل فورى ومتزامن حيث تكون كل الكرات معلقة فى الهواء فى نفس الوقت . لذلك ففى بعض الأحيان عندما يرتكب صانع القرار خطأ أو عندما يقول شيئاً لا يتحقق تماماً بالشكل الذى تنبأ به فإن ذلك يعنى أنه يعانى التشوش بشكل أو بآخر مثله فى ذلك مثل أى شخص آخر .

ليرير : فى الحقيقة أنا قرأت عرضاً لكتابك يقول إنه يحدد رسالة ما بأن الضباب عادة ما يحيط بكل أزمة وبأن ليس هناك مَنْ يعرف حقيقة كل شىء . وفى الجزء الخاص بفيتنام فى كتابك قضيت ساعات طويلة من المحادثات التليفونية لكى تحاول معرفة عدد الأمريكيين الذين مازالوا هناك فى فيتنام ويجب إخراجهم منه .

كيسنجر : هذا صحيح وفى نهاية الأمر وبعد أن قضيت شهراً لمعالجة مشكلة الإجلاء وتخطيط العملية كان هناك حوالى ٨٠٠ شخص يجب إجلاؤهم بشكل طارىء وبعد أن جهزنا طائرات الهليكوبتر التى ستقوم بذلك اكتشفنا أن هناك ١٢٣ من مشاة البحرية مازالوا هناك . وقد عقدت على الفور مؤتمراً صحفياً رغم ذلك وأعلنت مغادرة الجميع لفيتنام وعدت إلى مكتبى لأقول إن وحدة الحراسة من مشاة البحرية لم تغادر بعد ولذلك يتعين علينا إرسال ثلاث طائرات هليكوبتر أخرى لإعادتهم.

ليرير : إذن المعلومات تعد مسألة حاسمة بالنسبة لأى شخص يدير أزمة ؟! .

كيسنجر : نعم المعلومات والإحساس بالوجهة التى تسير إليها الأحداث وبعض الفهم لما تحاول أن تفعله .

ليرير : وطبعاً هذا يجب أن يأتى من الرئيس حتى إذا كنت أنت وزيراً للخارجية .. هل هذا صحيح ؟ وقد حدث ذلك فى الأزمتين معك شخصياً ، هل كنت تعرف بدقة ما كان يريد الرئيس منك أن تفعله فى كلتا الأزمتين ؟

كيسنجر : كما ترى فى الكتاب كنت أقوم بدور رئيسى ولكنى كنت أتأكد من كل قرار كبير وكنت أحيط الرئيس علماً .

ليرير : الرئيس نيكسون فى الأزمة الأولى حول الشرق الأوسط ؟

كيسنجر : والرئيس فورد فى الأزمة الثانية .

ليرير : د. كيسنجر لقد سعدت بلقائك وأشكرك عل الحضور ، أتمنى حظاً جيداً لكتابك .



أزمة كيسنجر

حرب أكتوبر

وعملية السلام

فى الشرق الأوسط

بداية الأسطورة

■■ فى ذلك الحين لم أكن قد عرفت أنور السادات جيدا ، ولذلك كان لا بد وأن أستنتج أنه أيضا يلعب لعبة عبد الناصر ■■

كيسنجر

هناك مـا يشبه الإجمـاع على أن هنرى كـيسنجـر لعب أخطر الأدوار فى منطقة الشرق الأوسط، وكان أحـد العوامل الأساسية التى شكلت سـياسات الولايات المتـحدة فى هذه المنطقـة بطريقة يرى البعـض أنها مازالت مـسـتمرة حتـى الآن. وفى ضوء هذه الحقيقة، هناك سؤال مـهم يطرح نفسه بقوة فى هذا السياق. هذا السـؤال هو: متى بدأ كـيسنجـر فى الانغـماس بشكل كـامل فى سيـاسـات الشـرق الأوسط، وبطريقـة تتـجاوز حـتى حـدود مسـئوليـاته وصلاحـياته كمـسـتـشار للأمن القـومى أو كوزير للخارجية؟

يجيب كيسنجر بنفسه على هذا السـؤال فى مذكراته بعنوان «سنوات البيت الأبيض» (The White House Years) حيث يقول إن الرئيس الأمـريكى ريتـشـارد نيكسـون كـان يخشى من تكرار الأزمـات بصفـــة دورية فى منطقـة الشـــرق الأوسط فى سنة انتـخابات رئـاسـتـه (١٩٧٢) لذلك طلب منه فى عـام ١٩٧١ أن يتدخل فى النزاع على الأقل لكى يحافظ على بقاء الأمور هادئة.

ويقول كيسنجر : « إن الرئيس نيكسون كان يدعم مساعى وزارة الخارجية الأمريكية نحو التوصل إلى اتفاقية مرحلية وكان يدرك معارضتى للأسلوب الذى انتهجه وزير الخارجية ويليام روجرز حيث أكدت له أن سبب خلافى مع روجرز يرجع إلى أن أى تسوية يتم التوصل إليها سيكون السوفييت هم المنتفعين منها خاصة أن الجيش المصرى يعتمد على الدعم السوفيتى، وبالإضافة إلى ذلك فقد كان من الواضح أن الرئيس السادات يعتمد فى ذلك الوقت على جيشه».

ويمضى كيسنجر قائلا: «إن نفاذ صبر السادات أصبح واضحا فى تصريحاته المتكررة والتى كان يؤكد فيها أن عام ١٩٧١ يجب أن يكون هو عام الحسم فى الشرق الأوسط. وكانت رؤيتى الشخصية أن الاستراتيجية الأمريكية يجب أن تقوم على إجهاض أى سياسة مصرية تستند إلى التهديدات العسكرية والتعاون مع الاتحاد السوفيتى. وكانت معاهدة الصداقة التى أبرمها السادات مع السوفييت أحد الأسباب الرئيسية التى زادت من رغبتى لكى أثبت للجميع أن التهديدات العسكرية وعقد المعاهدات مع الاتحاد السوفيتى لا يمكن أن يؤدى إلى نتيجة حاسمة».

ويمضى كيسنجر فى مذكراته قائلا: «إنه حتى تلك اللحظة لم يكن يعرف أنور السادات جيدا، لذلك كان لا بد وأن يستنتج أنه أيضا يلعب لعبة عبدالناصر».

ويكشف كيسنجر فى مذكراته كيف بدأ فى معالجة قضية الصراع العربى ـ الإسرائيلى بطريقته الخاصة، فيقول:

«كانت خطوتى الأولى هى استطلاع موقف السوفييت وما إذا

كانوا مستعدين لإبداء بعض المرونة باسم مصر. وكانت خطتى أننى إذا لم أجد لديهم مثل هذه الرغبة فسوف يكون البديل عندى هو استدراجهم إلى مفاوضات تستغرق فترة زمنية طويلة ولا تصل إلى نتيجة حتى يحدث أحد أمرين.. إما أن يغير السوفييت موقفهم أو أن تغير إحدى الدول العربية موقفها).

ويمضى كيسنجر قائلا إنه خلال النصف الأول من عام ١٩٧١ بذل جهودا لكسب الوقت أو بمعنى آخر لتضييع الوقت خلال محادثاته مع أناتولى دوبرنين - السفير السوفيتى فى واشنطن - وبعد ١٥يوليو ١٩٧١ بدأ الحديث عن إمكانية تعاون الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى فى الشرق الأوسط، وتحدد ذلك بشكل حاسم فى رسالة بعث بها الرئيس نيكسون إلى الزعيم السوفيتى برجينيف يوم ٥أغسطس. وقد رد بريجينيف على هذه الرسالة بأن أعرب لنيكسون عن خيبة أمله لأن واشنطن قطعت الاتصالات المباشرة مع موسكو من قبل حول الشرق الأوسط.

ويعترف كيسنجر بأن هذه الفترة من الاتصالات السلمية لم تجعل مصر تلجأ إلى الاسترخاء العسكرى، حيث حركت مصر بعض منصات صواريخها إلى مسافة أقرب لخط النار، كما دمر صاروخ مصرى طائرة استطلاع إسرائيلية.

ويواصل كيسنجر فى مذكراته الحديث عن منهجه فى التعامل مع قضية الشرق الأوسط بقوله إنه اقترح على نيكسون طريقة عمل جديدة يوم ٢٣سبتمبر ١٩٧١. وجوهر هذه الطريقة ببساطة هو تحجيم الآمال المصرية والتى كانت تتمثل فى إصرار الرئيس السادات على تحريك قواته إلى منطقة المناورات فى سيناء وذلك

فى إطار أى تسوية مؤقتة.

يقول كيسنجر : « كان اعتقادى بحق أن مشكلة الشرق الأوسط أصعب من مشكلة برلين، ولذلك فلا يمكن حلها فقط من خلال الاتصالات الأمريكية - السوفيتية ولا بد من إقامة صلة مع مصر. وفى ذلك الوقت كان الرئيس نيكسون يطلب منى المزيد من المشاركة الإيجابية فى الجهود الدبلوماسية الأمريكية فى الشرق الأوسط من أجل ضمان هدوء الأحوال فى هذه المنطقة لما بعد انتخابات ١٩٧٢. وفى يوم ٣٠سبتمبر ١٩٧١ التقيت مع وزير الخارجية السوفيتية أندريه جروميكو فى سفارة الاتحاد السوفيتى بواشنطن وطرحت عليه فكرة الحل المرحلى دون الغرق فى التفاصيل. وكان تقديرى أن انسحاب الإسرائيليين لأى مسافة فى سيناء سيكون له مغزى هائل ورمزى باعتباره يمثل تقدماء، وفى نفس الوقت يجب أن يحيط الغموض بالهدف النهائى للعملية. وكان رد جروميكو هو رفض وجهة النظر هذه وأكد أن مصر لن تتنازل عن الربط بين الاتفاقية المرحلية والتسوية النهائية بطريقة محددة وبتفصيل كما أن هذه التسوية النهائية من الأفضل أن تتم فى موعد لا يتجاوز عاما واحدا من التوصل إلى الاتفاق المرحلى. وأضاف جروميكو أن مصر تطالب بشدة بأن تتضمن التسوية النهائية انسحابا إسرائيليا كاملا من جميع الأراضى العربية المحتلة».

ويعلق كيسنجر على ما قاله جروميكو بقوله: «إن هذا الوضع ما كان ليطرح أى دافع لتشجيع إسرائيلى على عقد اتفاقية مرحلية، أما بالنسبة لنا فلم يكن هناك أيضا ما يحفزنا إلى

التعاون مع الاتحاد السوفيتى فى الشرق الأوسط».

وطوال تلك الفترة كان كيسنجر يسعى لهدم جهود الخارجية الأمريكية فى تحقيق تقدم فى الشرق الأوسط. وفى ديسمبر عام ١٩٧١ رفعت الخارجية الأمريكية الراية البيضاء واعترفت بأن محاولات التسوية التى تبذلها وصلت إلى طريق مسدود، والأكثر من ذلك أنها أقرت أيضا بدوره الجديد فى هذه المشكلة عندما وافقت على أن تستمر مفاوضات كيسنجر مع إسحق رابين - السفير الإسرائيلى فى واشنطن - وأيضا السفير السوفيتى دوبرنين. وفى نفس الشهر اتفقت جولدا مائير - رئيسة وزراء إسرائيل - مع نيكسون على التخلى عن محاولة التوصل إلى تسوية شاملة.

يقول كيسنجر فى مذكراته إن هذا الوضع كان يتفق مع تصوراته ولم تبق أمامه سوى مشكلة واحدة وهى أن المصريين غائبون عن قنوات الاتصال التى أقرتها واشنطن، بالإضافة إلى ذلك فقد أدرك كيسنجر بدهائه أن هذا الوضع يضع السوفييت فى مأزق أمام حلفائهم المصريين، كما أن حساباته كانت تقوم على أساس أنه كلما طال أمد العملية، كلما تدعمت السيطرة على موقف مصر.

وقد بعث كيسنجر فى ذلك الوقت بمذكرة إلى الرئيس نيكسون لدعم وجهة نظره وقال فيها إن مصر لا تستطيع أن تنتصر فى حرب ضد إسرائيل ومعنى ذلك أن العرب ومصر بالتحديد لن يكون أمامهم سوى أحد موقفين الأول هو اهتزاز ثقتهم فى قدرة الاتحاد السوفيتى على تحقيق تسوية والثانى أن يشن

المصريون حربا تفرض على السوفيت اتخاذ موقف حازم بشأن الدعم العسكرى، الأمر الذى سيشكل مجازفة كبرى بالنسبة لموسكو.

يقول كيسنجر فى مذكراته (سنوات البيت الأبيض) إنه طرح استراتيجية جديدة لسد الفجوة بين رغبة إسرائيل فى إجراء تغيرات فى الحدود وإصرار العرب على الانسحاب لحدود ١٩٦٧. وكانت هذه الاستراتيجية تقوم على فكرة الفصل بين موضوع الأمن وموضوع السيادة.. أى أن تسترد مصر سيادتها الكاملة على سيناء وفى نفس الوقت تحتفظ إسرائيل بمراكز دفاعية على الأرض المصرية. وقد وافق إسحق رابين وموشيه ديان على هذه الفكرة. وكان موقف السوفييت هو أن تطرح واشنطن برنامجا أكثر شمولا للسلام. واقترح أندريه جروميكو أن تجرى مفاوضات علنية بين موسكو وواشنطن للفصل بين القوات على قناة السويس شريطة أن يتوصل هو وكيسنجر فى نفس الوقت إلى تفاهم سرى حول بنود تسوية شاملة يكشف النقاب عنها وتنفذ على الفور عقب انتخابات الرئاسة الأمريكية فى أواخر عام ١٩٧٢.

ويقول كيسنجر: « لم أعتقد أن هذا الاقتراح يمكن تنفيذه وكان ردنا عليه هو الرفض، حيث كان يقيننا أن الزعماء السوفييت يتصرفون وكأن وجودهم فى العالم العربى أبدى رغم أننى أكدت لدوبرنين أن مركزهم فى هذه المنطقة ليس على هذا القدر من القوة الذى يتصورونه فسياسة الكرملين لا تحقق لحلفائه سوى الهزيمة أو الجمود. وكان رد دوبرنين أن موسكو تستطيع زيادة

وجودها العسكرى فى مصر كورقة خطيرة للمناورة، ولكننى كنت أشك فى ذلك لأننى كنت مقتنعا بأن موسكو لن تصل إلى حد إشراك قواتها فيما يمكن أن يصل إلى مواجهة مباشرة مع الولايات المتحدة ».

والغريب أن داهية السياسة الأمريكية هنرى كيسنجر لم يقر أن الكثير من تقديراته كانت خاطئة رغم أن بعضها كان صحيحا .

يقول كيسنجر: «أوضحت للرئيس نيكسون أن العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتى ليست كما كانت فى عهد عبدالناصر. فقد طلب السادات أسلحة متقدمة ودعما دبلوماسيا وعسكريا بحجم يشبه ما قدمه السوفييت إلى الهند أثناء حربها مع باكستان ولكن السادات لم يتلق من موسكو ما كان يتوقعه على الصعيدين العسكرى والدبلوماسى. وفى تقديرى أن حسابات موسكو كانت تقوم على عدم تحمل مخاطر لا يمكن السيطرة عليها كما أن موسكو لم تكن ترى منفعة من دعم مصر إلى الدرجة التى يمكن أن تؤدى إلى تقليل اعتماد القاهرة على الاتحاد السوفيتى ».

يقول كيسنجر: «إن السوفييت حاولوا أن يكسبوا كل شىء ونسوا أن السياسة هى فن الممكن وأنهم قد يخسرون كل شىء فى النهاية. وفى شهر أبريل عام ١٩٧٢ فتحت مصر قناة اتصال سرية مع البيت الأبيض واقترح المصريون أن أزور القاهرة أنا أو ريتشارد هيلمز وأن يأتى إلى واشنطن حافظ إسماعيل - مستشار الرئيس السادات لشئون الأمن القومى - وأرسلنا ردنا يوم ٢٩ أبريل بأننا ننتظر حافظ إسماعيل ونشعر باهتمام لعقد اجتماع سرى على مستوى عال وسنرحب باستقبال ممثل للرئيس

السادات في الولايات المتحدة. وأبلغتنا مصر بأننا سنتلقى ردا رسميا في شهر يوليو التالي بعد الزيارة التي كان من المقرر أن يقوم بها الرئيس السادات لموسكو في تلك الفترة وبالتحديد في شهر أبريل. وقد ظهرت مؤشرات على تزايد التوتر بين القاهرة وموسكو، وكان السادات قلقا من أن يوافق السوفيت على بقاء الأمر الواقع في الشرق الأوسط».

ويعترف كيسنجر أيضا في مذكراته بأنه أخطأ في حساباته تجاه أنور السادات حيث اكتشف أنه واحد من الزعماء البارزين القلائل الذين التقى بهم وأنه يتميز بالشجاعة ونفاذ البصيرة لدرجة أنه كانت لديه الجرأة لأن يدخل حربا لم يكن أحد يتصور أنه يمكن أن يقوى عليها كما أنه يتصف بالاعتدال الذي يجعله يتحرك نحو السلام بعد ذلك مباشرة.

يقول كيسنجر: « في عام ١٩٧٢ لم يكن أي شيء من ذلك واضحا لي. فقد وجه السادات تهديدات كثيرة لم ينفذها. وخلال الجهود السلمية بدا لي أن السادات لم يتخل عن أوهام عبدالناصر التي كانت تجعله يصر على مطالب لا يمكن تحقيقها. وربما كان السبب في هذا الخطأ هو أنه لم يكن لدينا من قبل حوار منتظم مع السادات لكي نكتشف كيف يفكر السادات حقا وكانت معظم تعاملاتنا قبل فتح قناة الاتصال بين القاهرة والبيت الأبيض في أبريل ١٩٧٢ تتم من خلال موسكو، لذلك تركزت كل جهودي على إقناع السادات بعدم جدوى الطريق الذي يسير فيه ».

يقول كيسنجر: «اكتشفت بعد ذلك أن السادات يراهن على ما هو أكبر من كل تصوراتنا. فقد فجر السادات قنبلة نسفت كل

هذه التصورات السابقة عنه، ففى ١٨ يوليو ١٩٧٢ أعلن السادات إنهاء مهمة أكثر من ١٥ ألف خبير عسكرى سوفيتى فى مصر بحيث ينسحبون خلال أسبوع. وكان هذا القرار مفاجأة كاملة لواشنطن. وكانت استراتيجيتى هى إقناع مصر بتقليل اعتمادها على السوفييت، وبالإضافة إلى ذلك فقد كنت إلى ذلك الحين أميل إلى التقليل من تقدير شخصية الرئيس السادات الذى لم أتوقع أبدا أن يتخذ مثل هذا القرار بخطوة واحدة ضخمة. وبعد دراسة قرار طرد الخبراء السوفييت كان تقديرى أن السادات حاول أن يعبر عن خيبة أمل المصريين فى الاتحاد السوفيتى أو تحسين خياراته العسكرية فى العام التالى ١٩٧٣ بإبعاد السوفييت حتى لا يعرقلوا أى تحركات هجومية مصرية، وبالإضافة إلى ذلك فربما كان السادات يسعى لإغراء الولايات المتحدة على التحرك للرد على هذه الخطوة. وقد أصاب قرار السادات موسكو بالارتباك وأكدت شخصيا للسفير السوفيتى دوبرنين عدم وجود أى علم مسبق بهذا القرار. وقد بعث برجينيف برسالة إلى نيكسون حاول فيها تفسير ما حدث فقال إن خروج السوفييت من مصر جاء تنفيذا للاقتراح الذى قدمه جروميكو فى سبتمبر ١٩٧١ حول انسحاب القوات وبالتالى فإنه يتعين على الولايات المتحدة أن تنفذ الشق الخاص بها فى هذا الاتفاق هو أن تضغط على إسرائيل فى اتجاه تسوية يتم بمقتضاها تحرير كل الأراضى العربية المحتلة فى عام ١٩٦٧».

ولاشك أن ما ذكره كيسنجر حول مفاجأة واشنطن بقرار طرد الخبراء السوفييت لم يكن هو المفاجأة الوحيدة، فقد كانت المفاجأة

الكبرى هى حرب أكتوبر ١٩٧٣ والقرار الذى أصدره السادات بخوض هذه الحرب رغم كل حسابات كيسنجر التى اعترف بأنها كانت خاطئة. ولكن كعادة كل سياسى داهية كان كيسنجر دائما يحاول أن يوحى بأن حركة الكون تأتى وفقا لمخططاته وتصوراته رغم أن ذلك لا يمكن أن يغير الحقيقة أو أن يعيد التاريخ إلى الوراء.

ويورد كيسنجر فى مذكراته مثالا لكيفية صنع القرار السياسى الأمريكى ذا أهمية بالغة، وهو الحرب الأهلية فى الأردن سنة ١٩٧٠ «أيلول الأسود». وقد كتب كيسنجر الكثير عن هذا الصراع كمجابهة استراتيجية بالوكالة بين الدولتين العظيمتين، لكنه كتب أيضا عن فائدة إسرائيل كحليف استراتيجي للولايات المتحدة. وعلى وجه التحديد، كان الموضوع فى واشنطن هو الفائدة الممكنة من تشجيع إسرائيل على إرسال قواتها الجوية والبرية للدفاع عن نظام الملك حسين ضد وحدات المدرعات السورية، التى دخلت الأردن لمساندة الفدائيين. ولفترة من الزمن، برز تباين كبير فى الرأى بين نيكسون وكيسنجر فيما يخص هذا الأمر؛ إذ أصر نيكسون على أنه إذا حدث تدخل عسكرى لمصلحة الملك حسين، فيجب أن تكون القوات العسكرية أمريكية. وقد وافق وزير الخارجية روجرز على رأى الرئيس، لكن كيسنجر نجح فى النهاية فى إقناع رئيسه بأن التدخل الأمريكى أمر غير ملائم لأسباب تقنية. يقول كيسنجر: «جرى عرض سريع لإيجابيات التدخل العسكرى الأمريكى وسلبياته، فقرّ الرأى بيننا على أن السبيل الأفضل لاستخدام قواتنا هو فى الوقوف فى وجه أى

تدخل سوفيتي ضد العمليات الإسرائيلية، ولو أردنا أن نتدخل عسكريا بنجاح من جانب واحد لكان علينا أن ندفع إلى المعركة بكل احتياطينا الاستراتيجي. وفي مثل هذه الحالة، نكون قد نشرنا قواتنا انتشارا يكاد يبلغ حد التمزق في ساحتين بعيدتين غاية البُعد [أي في الشرق الأوسط وفيتنام]، وبالتالي نصبح بلا غطاء يحمينا في وجه أية أزمة طارئة جديدة. ويجب أن تدخل قواتنا ساحة المعركة من دون عتاد ثقيل ومع غطاء جوي يتم من على حاملات الطائرات فقط. والطريق البري الوحيد لتموين القوات يمر في إسرائيل الأمر الذي يربطنا بها. في حين أن الابتعاد عنها هو السبب الرئيسي للعملية الأمريكية، وإذا واجهتنا المشكلات لكان علينا أن نستعين بإسرائيل. وباختصار، لو تدهور الوضع في الأردن وخرج عن السيطرة لما أمكن إعادة الأمر إلى نصابه إلا بتوجيه ضربة كبيرة ضد سوريا، وأفضل من يوجه هذه الضربة هو القوات المسلحة الإسرائيلية».

كان كيسنجر يخطط لعمليات إسرائيلية جوية أو برية على الأرض الأردنية، ولم يكن ينوي استئذان الملك حسين إذ كان يفترض أن حسين قد يكون بحاجة إلى هذه العمليات لكنه لا يستطيع أن يصرح بذلك . لكن حسين سئل عن الأمر وكان جوابه، كما يقول كيسنجر: «غامضا فيما يختص بضربات جوية إسرائيلية وسلبيا فيما يختص بعملية مساندة إسرائيلية برية».

وفي نهاية المطاف، أصبح الأمر نظريا، إذ تراجع السوريون ولم تستخدم أية قوة إسرائيلية. ونحن لا نعلم ما إذا كان سبب ذلك التراجع السوري هو كفاءة الجيش والطيران الأردنيين، أم تخوف

السوريين والسوفييت من تدخل إسرائيلى مدعوم أمريكيا». أما كيسنجر والكثيرون غيره، فإنه لا يتردد فى الادعاء بأن الحزم الأمريكى الإسرائيلى كان سببا جوهريا، بل إن نجاح قوات حسين ذاتها مدين بالكثير للتأثير المعنوى للدعم الخارجي.

لا ريب أن الولايات المتحدة كانت تمر، سنة ١٩٧٠، بفترة من العلاقات المتردية للغاية بسوريا وبعض الدول العربية الأخرى، فى حين كان الملك حسين يصارع من أجل البقاء ويعانى من سمعة سيئة بسبب عدائه للمقاومة الفلسطينية. من هنا يمكن القول إن اعتماد الولايات المتحدة أو حسين على المساعدة الإسرائيلية لا يكلفهما ثمنا إضافيا. وبالإضافة إلى ذلك، فلو حدث تدخل إسرائيلى لكان ذلك لأسباب خاصة بإسرائيل، ولكانت هى نفسها التى تتحمل المسئولية. أما باقى الزعماء العرب، بمن فيهم عبدالناصر نفسه، فقد كانت لهم أسبابهم الخاصة للارتياب بالفلسطينيين ولاستنكار التدخل السورى ـ وإن كرهوا الإقرار بذلك علنا.

لكن هذه الحجج جميعا ليست مقنعة تماما. ففيما يختص بالأمريكيين كانت لديهم أسباب عدة معلومة أو مجهولة، تبعث على القلق حيال السماح لإسرائيل بإنقاذ حسين، مما قد يؤدى إلى الإطاحة بسمعته فى العالم العربى إطاحة كاملة. إذ كيف يمكنه أن يطالب بالسيادة على الفلسطينيين فى الضفة الغربية لو قبل بمساعدة إسرائيل ضد الفلسطينيين والسوريين فى الضفة الشرقية (إذ لو وصلت القوات الإسرائيلية إلى شمال الأردن لمحاربة السوريين، فلابد من أن تضرب الفدائيين أيضا)؟ وهل

كان فى استطاعة الملك حسين أن يستدعى الإسرائيليين للتدخل فى بلده من دون أن يخسر احترام جيشه؟

على كل حال، لم يكن السؤال الحاسم المطروح فى واشنطن فى ذلك الحين سياسيا، بل عسكريا. وكما رأينا أعلاه، كانت الحجة التى استخدمها كيسنجر لمصلحة التدخل الإسرائيلى حجة عسكرية، وعلى هذا الصعيد ربما كان على حق؛ فما دام الهدف هو الحيلولة دون انتصار منظمة التحرير وسوريا والاتحاد السوفيتى على حسين، فإن استعداد إسرائيل للقيام بما يلزم أمر مفيد للغاية. أما القول إن الاتجاه المعادى لدى الفلسطينيين والسوريين يعود فى المكان الأول إلى إسرائيل، وإلى عدم وجود أى كابح أمريكى يكبح أعمالها، فضرب من التفكير الشمولى والفلسفى الذى لا يتلاءم وأساليب معالجة الأزمات.

وحتى خلال الأزمات التى كانت أقل خطورة، لم يكن هناك فى واشنطن من يدعو إلى التفكير فى مثل هذه الأمور. فالأزمة الأردنية، كغيرها من الأحداث، من شأنها فقط أن تثير المخاوف من حدوث أزمات مشابهة فى المستقبل (فى الخليج على سبيل المثال)، حيث يكون إمكان الاستعانة بإسرائيل أمرا ذا فائدة كبيرة. لكن ذلك يختلف عن الزعم بأن خَلْق إسرائيل فى المكان الأول كان له ما يبرره أو ما يسببه بالنسبة إلى حاجة أمريكا إلى وجود شرطى فى المنطقة. فالحجة المستخدمة هى ببساطة أن إسرائيل قد برهنت على فائدتها فى السنوات الأخيرة، وأن هذه الفائدة لا يمكن الاستغناء عنها فى سبيل الوصول إلى تسوية سلمية على أسس لا ترضى بها إسرائيل، وخصوصا أن نجاح مثل هذه

التسوية ليس مضمونا على أى حال.

ثمة ترابط وثيق بين القول بأن إسرائيل تشكل تبذيرا يمكن احتماله ولها فائدة عسكرية للولايات المتحدة، والقول بأن الصراع العربى ـ الإسرائيلى هو مثال مصغر للحرب الباردة، حيث يرى كيسنجر أن جميع الأطراف فى الشرق الأوسط أتباع لإحدى الدولتين العظيمتين، ومهما تكن رغبات زعمائهم الحقيقية، أو مدى الصدق والحق فى مواقفهم، فإن نجاحهم أو فشلهم السياسى أو العسكرى ينعكس حتما على مصالح أوليائهم الاستراتيجية سلبا أو إيجابا؛ إذ أن لعامل الهيبة والاحترام أهمية قصوى. فلا توجد دولة عظمى فى إمكانها أن تخدم بنجاح مصالح الأطراف المحلية ولا توجد دولة تمنحهم وعودا فارغة وترمى بهم إلى الفشل والخيبة أو تعرضهم للأخطار الداهمة بسبب انعدام حساسيتها وإخلاصها إن الأطراف المحلية كافة تراقب بدقة وتنتقد ما تقوم به كل دولة عظمى من أعمال لمصلحة أتباعها، كما ترى تحالفاتها من منظار قدرة الأولياء على الوفاء بتعهداتهم.

واستنادا إلى هذا المنطق، لا توجد أية أهمية لجدارة المواقف فى الصراع العربى ـ الإسرائيلى، ولا حتى لمشكلاته الرئيسية. وفى الواقع، فإنه لأمر مثير للاهتمام ألا نجد فى مذكرات كيسنجر أية إشارة، من أى نوع كان، إلى هذه الأمور إذ أن هذه المذكرات لا تستعرض تاريخ الصراع، ولا نجد فيها أية محاولة لتقويم ادعاءات الفريقين وتخيلاتهما، ولا أى تحليل لنفسياتهما أو لأفكارهما الاستراتيجية. ولا نبالغ إذا قلنا إن جل ما يهمه هو موقف كل الفريقين من حيث درجة اعتماده على الاتحاد

السوفيتي أو الولايات المتحدة، وولاؤه لذاك أو هذه. فالهدف الأعلى للولايات المتحدة يجب أن يكون الدفاع عن عملائها واستقطاب عملاء السوفييت. والسبيل إلى ذلك هو: حماية إسرائيل من الضغط السوفيتي ومنحها وسائل تفوق ما يمنحه السوفييت لزبائنهم العرب؛ وتجنب مطالبتها بأية تنازلات لا تستطيع أن تمنحها بإرادتها الحرة والامتناع عن تقديم أي دعم كان لأي عميل سوفيتي إلا بمقدار ما يمكن للولايات المتحدة أن تفعله في سبيل تفكيك روابطه مع موسكو، وبصورة عامة، تلقين العبرة بأن السوفييت يخوضون معركة خاسرة لكسب النفوذ في المنطقة، وأن لدى الولايات المتحدة وحدها ما تقدمه لكل الحكومات وذلك ضمن أولوياتها هي.

ومن خلال هذا المنظار، فإن كل أزمة محلية سرعان ما تصبح امتحانا للقوة بين الدولتين العظيمتين، كحرب سنة ١٩٦٧، وحرب الاستنزاف، وأزمة الأردن، وحرب سنة ١٩٧٣. فمحاولات عبدالناصر لتحسين وضع مصر الاستراتيجي على ضفتي قناة السويس، في وجه الغارات الإسرائيلية في العمق سنة ١٩٧٠، توصف بأنها «أسلوب عبدالناصر في ابتزاز الولايات المتحدة باستخدام التهديد السوفيتي»، وهذا عمل «يجب إثبات بطلانه» على حد قول كيسنجر!! وفي مكان آخر، يشير كيسنجر إلى «أوهام عبدالناصر التي جعلته يصر على مطالب لا يمكن تحقيقها بسبب المساعدة العسكرية السوفيتية».

ويمثل هذه الروح عالج كيسنجر كل المسائل المتعلقة بالمفاوضات الأمريكية مع مصر وإسرائيل خلال إدارة نيكسون

الأولى، أى خلال فترة حرب الاستنزاف، وخطة روجرز، ووقف إطلاق النار سنة ١٩٧٠، ومفاوضات التسوية المرحلية سنة ١٩٧١، وأخيرا طرد العسكريين السوفييت سنة ١٩٧٢. وكثيرا ما يسخر كيسنجر من تفاؤل وزارة الخارجية الساذج، ومن خوف موظفيها من جرح المشاعر العربية، ومن نظرياتهم غير الصائبة بأن الوضع القائم فى الشرق الأوسط بعد سنة ١٩٦٧ يضر بأمريكا بحيث يتوجب عليها القيام بوساطة فعالة بين مصر وإسرائيل، والضغط على الأخيرة لتقديم التنازلات. وكان رأى كيسنجر أن أمريكا يجب ألا تقوم سوى بأقل قدر ممكن من الأعمال، ما عدا تقديم الدعم لعملائها والتخلى عن عبدالناصر وأصدقائه كى يتخبطوا فى مشكلاتهم.

يقول كيسنجر:

« كان رأى البعض فى حكومة الولايات المتحدة أن نعمد إلى فرض خطة روجرز على الإسرائيليين، لكن الرئيس لم يكن على استعداد للقيام بذلك وهو منهمك فى أزمة لاوس. كما أن هذا الرأى لم يكن صائبا من الناحية الاستراتيجية. فمادامت مصر، فى واقع الأمر، قاعدة عسكرية سوفيتية فلا شىء يدعونا إلى أن ندير الظهر لحليف لنا من أجل مصلحة «عميل سوفيتى». هذا هو السبب الذى جعلنى أعارض باستمرار تسويات شاملة يرفضها الطرفان ولا تخدم سوى الأهداف السوفيتية، إذ أنها إما تبرهن عن عجزنا وإما تضمن مثالا لما يمكن أن تحصل عليه موسكو من خلال ممارسة ضغطها. وكان هدفى هو شل الحركة حتى تعمد موسكو إلى المطالبة بحل وسط، أو حتى تقر بعض الحكومات

العربية المعتدلة، وهذا هو الأفضل، أن طريق التقدم يمر من خلال واشنطن».

لقد خوّل الرئيس نيكسون وزارة الخارجية صلاحية اتخاذ المبادرات لبضع سنين، لكنه سمح لكيسنجر أيضا بأن يقنعه بعدم دعم هذه المبادرات، وكانت النتيجة سياسة مضطربة نوعا ما، وهذا الأمر كان يلائم أهداف كيسنجر ملاءمة تامة إذ يقول: «وعند نهاية سنة ١٩٧١، كانت الانشقاقات داخل حكومتنا، ومحاولات وزارة الخارجية المتفانية فى السعى وراء أهداف لا يمكن تحقيقها، وانعدام الخيال لدى الاتحاد السوفيتى، قد أدت جميعا إلى شلل فى الحركة كنت أسعى له عمدا». ويقول بعد مضى أشهر قليلة: «إن استراتيجيتى لم تتغير. فإلى أن تظهر بعض الدول العربية الرغبة فى الابتعاد عن السوفييت، أو يظهر السوفييت رغبة فى الابتعاد عن المطالب العربية القصوى، لم يكن هناك أى سبب يدعو إلى تغيير سياستنا».

واستنادا إلى كيسنجر، فإن الشلل فى الحركة أدى إلى اقتناع السادات بأنه ليس لدى السوفييت ما يقدمونه له، وبأنهم لا يريدون القيام بأية مغامرة ضرورية لمساعدته فى استرجاع الأراضى المصرية المحتلة. وقد تجلى الحذر السوفيتى فى البيان المشترك ذى اللهجة الباهتة الذى صدر عن نيكسون وبريجنيف بشأن الشرق الأوسط عقب قمة موسكو فى مايو١٩٧٢. لذا فقد قرر السادات أن يقلب رقعة الشطرنج رأسا على عقب، وذلك بطرد المستشارين العسكريين السوفييت.

... لقد دفع الاتحاد السوفيتى ثمنا غاليا فى مصر وسائر

أرجاء الشرق الأوسط، لأنه وضع موضوع الشرق الأوسط في الثلاجة خلال القمة.

ولا ريب أن السوفييت لم يمارسوا مثل هذا التحفظ لأنهم يؤثرون الغير على أنفسهم، إذ لا جدال في أن قوة إسرائيل كانت هي الرادع الأساسي، كما كان في تقدير الكرملين أن الحرب قد تحمل خطر المواجهة المباشرة مع الولايات المتحدة.

وأخيرا، تجدر الإشارة إلى أن فلسفة كيسنجر الأساسية لم تفسح المجال لأية دبلوماسية من نوع مؤتمر جنيف، الذي يسعى لمفاوضات سلام شاملة، وهي دبلوماسية سعت لها إدارة الرئيس كارتر لفترة وجيزة سنة ١٩٧٧. فقد كان إطار الحرب الباردة الذي يلف صراع الشرق الأوسط يحول دون مثل هذه الدبلوماسية.

وكانت قناعة كيسنجر أنه ما لم يبد السوفييت رغبة في قبول أسس الموقف الأمريكي والمواقف الصديقة، ثم الضغط على حلفائهم للقبول بذلك، أو ما لم يتخل حلفاء السوفييت عن أوليائهم ويتجهوا صوب الحلول الأمريكية، فإن صيغة المفاوضات الشاملة مستبعدة كليا. (وعلى الرغم من ذلك، وربما في فترة من الانحراف عن السياسة المألوفة أو من الخداع، فقد هدد كيسنجر إسرائيل ضمنا لفترة وجيزة سنة ١٩٧٥ باتخاذ مثل هذا الموقف، حين كان يحاول الضغط عليها للقبول بالمزيد من الانسحابات في سيناء). ومن الواضح أن كيسنجر كان يؤثر دبلوماسية «الخطوة خطوة» بحيث كانت الولايات المتحدة تتعامل مع كل طرف عربي على حدة، فتفاوض من أجل تسوية جزئية تتضمن نوعا من الحل

الوسط مع الموقف الإسرائيلى، وهى عملية أعطت ثمارها طبعا فيما بعد لأولئك الذين أتوا بعد كيسنجر.

يقول جورج بول - مساعد وزير الخارجية الأمريكية الأسبق وأحد الذين تصدوا لكشف أسطورة كيسنجر - : «إنه ليس من الصعب اكتشاف مواطن الخلل فى تحليل كيسنجر للصراع فى الشرق الأوسط ولدور أمريكا فى هذا الصراع، أنه **أولا :** ينحو إلى تجاهل خصائص وزعماء كل بلد عربى، وطبيعة الأفكار العربية العامة، والمطالب المتعلقة بإسرائيل والولايات المتحدة. كما أنه يكاد يتعامى عن الفلسطينيين، وهم فى رأيه ليسوا إلا جماعة من مثيرى الشغب الذين يجب السيطرة عليهم. لذا لا يكاد يخطر بباله أن علاقات العرب بالاتحاد السوفيتى قد تكون، على الأقل، إحدى دلائل مشكلة فلسطين العالقة وليس العكس. إن أية مفاوضات أمريكية مع السادات أو الأسد أو عرفات لا تعتمد فى نجاحها بالضرورة، على التخلى العربى المسبق عن الروابط مع السوفييت، إن تحقيق التقدم نحو سلام يأخذ بعين الاعتبار الآراء العربية يشكل بحد ذاته، العلاج الشافى للنزعة نحو الراديكالية أو التطرف فى منطقة الشرق الأوسط. **ثانيا:** فى حين افترض كيسنجر أن العرب قد يتحولون فى النهاية من الاعتماد على الاتحاد السوفيتى إلى الولايات المتحدة، فإنه افترض أيضا أن العرب الموالين للغرب يملكون صبرا لا ينفد حين يستمر تجاهل اهتمامهم بالقضية الفلسطينية (ناهيك بمصالحهم الذاتية الإقليمية)، وبكلام آخر: إن الصيغة التى وضعها لمكافأة الخروج من المعسكر السوفيتى كانت صيغة مقبولة لدى السادات الذى

حصل على أرضه فى مقابل السلام، كما يمكن أن تلائم هذه الصيغة زعماء آخرين قد يصلون إلى الحكم يوما ما. لكن ما الذى ينوى كيسنجر أن يقدمه إلى الرأى العربى المعتدل أو المحافظ فى المنطقة بأسرها، إذا استمر العرب فى طرح السؤال الآتى: لماذا لا تستطيع أمريكا وهى التى تملك معظم الأوراق، أن تعطى شيئا أفضل مما تعطيه إسرائيل طوعا ومن دون إكراه أو ضغوط أمريكية؟!

وفى مواجهة استراتيجية كيسنجر فى الشرق الأوسط، يطرح السياسى الأمريكى المخضرم جورج بول تصورا آخر للسلام فى هذه المنطقة يقوم على أساس أن أى فحص دقيق للمشكلات ولمواقف الأطراف من شأنه أن يوضح عدة مسائل:

أولا: إن إصرار إسرائيل المستمر على الاحتفاظ بالأراضى المحتلة يكفل ازدياد الخيبة والعداء عند العرب، ولذا فإنه ينذر بعودة الحرب.

ثانيا: إن دبلوماسية الخطوات العلاجية الصغيرة التى مارستها الولايات المتحدة فى عهد كيسنجر، لا تؤدى إلى نتائج حاسمة بل على العكس فإن من شأن الخطوة الجزئية أن تجعل الخطوات المهمة التالية أمرا أصعب منالا.

ثالثا: إذا تركت الأطراف على حالها، فلا ينتظر منها أن تتقدم نحو تسوية حقيقية.

ويقول بول إنه بالنظر إلى هذا الوضع الخطر، فإن السلام ممكن فقط من خلال عمل مشترك تقوم به الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى، وأن الخطوة الأساسية الأولى هى أن تعمد

الولايات المتحدة إلى صوغ موقف مستقل خاص بها من المشكلات المطروحة، لا أن تترك هذه المشكلات عرضة لمبادرات الأطراف نفسها، وهذا الموقف يجب أن يتضمن الآتى من وجهة نظر الخبير السياسى الأمريكى المخضرم جورج بول:

١ - استمرار الدعم الأمريكى لوجود إسرائيل وأمنها.

٢ - الانسحاب الإسرائيلى من جميع الأراضى التى احتلت سنة ١٩٦٧، مع بعض التعديلات الطفيفة.

٣ - الاعتراف العربى الكامل بإسرائيل وإقامة علاقات طبيعية معها.

٤ - نزع الصفة العسكرية عن مرتفعات الجولان والضفة الغربية.

٥ - اعتبار الضفة الغربية ملكا للشعب الفلسطينى، وإفساح المجال أمام الدول العربية والفلسطينيين، بمساعدة الأمم المتحدة، كى يقرروا كيف تحكم هذه المنطقة، استنادا إلى عملية تقرير للمصير يختارونها.

٦ - تسوية مشكلة القدس «بواسطة نوع من أنواع الترتيبات الدولية التى وضعت فى شأنها صيغ عديدة».

هذا التصور بالتحديد، يختلف جذرياً عن رؤية كيسنجر لأسس السلام العربى الإسرائيلى وهى رؤية منحازة بشكل أعمى لإسرائيل .. بل وتختلف عن التصورات الأخرى التى طرحها سياسيون أمريكيون من أمثال چورج بول ووليام كوانت وغيرهما .. وسبب ذلك ليس له تفسير هو تلك الذاتية التى كانت دائماً تغلب على أفكار ومفاهيم كيسنجر السياسية.



أزمة كيسنجر

حرب أكتوبر

وعملية السلام

فى الشرق الأوسط

سياسى داهية ..!

■■ كيسنجر أحد أبرز رجالات السياسة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية. وقد أضاف لرصيده جملة إنجازات لعل أشهرها تلك الجولات المكوكية التى قام بها فى الشرق الأوسط سعياً لتحقيق تسوية سلمية بين مصر وإسرائيل ■■

يمكن اعتبار هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكى ومستشار الأمن القومى الأسبق أشهر وأهم وزير خارجية للولايات المتحدة ، وقد أثارت شخصيته الكثير من الجدل على الرغم مما حققه من إنجازات ، وقد تنوعت الآراء ووجهات النظر بشأن شخصيته وأفعاله لدرجة أنه يعتبر فى نظر البعض بطلاً قومياً ، بينما يعد فى نظر البعض الآخر سفاحاً متآمراً على الشعوب المستضعفة ومنتهكاً لحقوق الإنسان .. كان يشق طريقه بمبدأ الغاية تبرر الوسيلة ، بل ويذهب البعض أبعد من ذلك حينما ينادى بمحاكمته كمجرم حرب . ويعتبر كيسنجر ، الحائز على جائزة نوبل للسلام عام ١٩٧٣ ، من أهم الشخصيات التى ساهمت فى صياغة السياسة الخارجية الأمريكية دون جدال ومهما اختلفت الآراء حوله ..

وقد حقق أثناء عمله فى البيت الأبيض مستشاراً للأمن القومى ووزيراً للخارجية العديد من الإنجازات المهمة مثل : إسدال الستار على حرب فيتنام ، واتفاقية الفصل بين القوات

على الجبهة العربية - الإسرائيلية عام ١٩٧٤ ، كما كان مهندس زيارة الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون إلى الصين ، ودعم معاهدة الحد من التسلح مع الاتحاد السوفيتي بالإضافة إلى ابتكاره لسياسة المكوك لتحقيق تسوية سلمية فى الشرق الأوسط بين العرب وإسرائيل .

ولد هنري كيسنجر فى ألمانيا عام ١٩٢٣ لأسرة يهودية هاجرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٣٨ هرباً من الاضطهاد النازى وحصل على الجنسية الأمريكية عام ١٩٤٣ والتحق بالجيش الأمريكي وعمل فى المخابرات واشترك فى الحرب العالمية الثانية « ١٩٣٩ - ١٩٤٥ » وحصل على منحة دراسية فى جامعة هارفارد عام ١٩٤٦ ودرس العلاقات الدولية وأبدى فيها نبوغاً وتميزاً ثم حصل على درجة الدكتوراه فى العلوم السياسية .

وكان موضوع الدراسة يتصل بالحقبة التى تلت عهد نابليون بونابرت فى أوروبا . وبعد حصوله على الدكتوراه عمل فى مجلس العلاقات الخارجية لولاية نيويورك وقام برئاسة مجموعة من الباحثين الذين قدموا تحليلاً سياسياً للعلاقات الأمريكية السوفيتية مع التركيز على مجال سباق التسلح النووى ، وحقق شهرة واسعة من خلال هذه الدراسة ، ثم عمل عام ١٩٥٧ بجامعة هارفارد باحثاً وأستاذاً مدة ١٢ عاماً ، وأصدر الكثير من الدراسات والبحوث والكتب التى حظيت بشهرة كبيرة وحققت انتشاراً واسعاً ، ثم شغل منصب مستشار الأمن القومى فى عهد نيكسون فى الفترة من ١٩٦٩ و ١٩٧٣ ، ثم بعد ذلك وزيراً للخارجية .

وقد تميز كيسنجر ، منذ أن كان فتى يهودياً في ألمانيا النازية إلى أن وصل إلى اليوم حيث يعمل كمستشار عالمي تخطى الثمانين عاماً ، بقدرته على اجتذاب الشخصيات ذات النفوذ والتأثير .

وهذه الموهبة خدمت كيسنجر على نحو جيد كمنسق للمخابرات العسكرية خلال الحرب العالمية الثانية وفي هارفارد حيث حصل على الدكتوراه والأستاذية ، وأيضاً كمخطط استراتيجي للحرب الباردة مما جعله مستشاراً ذائع الصيت للعديد من المؤسسات الحكومية والخاصة ، وقد عمل مع إدارة نيكسون وعايش فضيحة ووترجيت ، وربما كان الرأس المدبر لها، ولكنه خرج منها سالماً كما اكتسب شهرة واسعة بالإضافة إلى فوزه بجائزة نوبل بسبب دوره المميز والمهم في التفاوض لوضع نهاية لحرب فيتنام وجهوده عبر دبلوماسية المكوك في أفريقيا والشرق الأوسط وفي أماكن أخرى .

وعلى الرغم من أن كيسنجر كانت لديه الشجاعة ليعلن أن أولئك المنخرطين في العمل السياسي يجب عليهم التعامل مع الأشياء المبهمة والتكيف بشكل متواصل مع المتغيرات ، فإن تحجر قلب كيسنجر واستهتاره بالمبادئ قد كلفه الكثير بسبب الاهتمام الأمريكي بحقوق الإنسان والمبادئ الديموقراطية وسيادة القانون الدولي والمبادئ الأخرى .

وفي الوقت الذي شغل فيه كيسنجر منصب وزير خارجية الولايات المتحدة عام ١٩٧٣ ، فإنه أصبح كما يقول استطلاع الرأي الذي أجرته مؤسسة « جالوب » الشهيرة الشخص الأكثر

شعبية فى أمريكا وفى العالم ومع ذلك فقد كان كيسنجر مكروهاً من جانب قطاعات عريضة من الشعب الامريكى تتراوح بين المثقفين الليبراليين والنشطاء المحافظين .

إن هنرى كيسنجر أحد أبرز رجالات الخارجية الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية . وهو أضاف لرصيده جملة إنجازات لعل أشهرها ، تلك الجولات المكوكية التى قام بها أثناء ولاية الرئيس نيكسون سعياً « لسلام الشرق الأوسط ، وبعضهم يعتبر اجتماعاته بزعماء المنطقة قبل حرب ١٩٧٣ على أنها جزء من سيناريو شرير للسيطرة على المنطقة ، فبحسب هؤلاء لا تزال المنطقة العربية تدفع لغاية اليوم ثمن توريط كيسنجر لها فى ترهات ودهاليز وعوده الملغومة ! » .

ومما يزيد الشكوك حول هذا الرجل كونه استراتيجيا « قبل أن يكون سياسياً » . كما أنه صاحب أطروحات فائقة الجرأة والخطورة منها على سبيل المثال المواقف التالية :

– **الضرورة الحيوية للتواجد الأمريكى فى المنطقة الأوردية** (باكستان وأفغانستان ومحيطهما) . وهى دعوة تعود إلى منتصف الخمسينيات .

– **التهديد باحتلال منابع النفط العربية** (إبان أزمة وقف النفط العربى) .

– **دعوته لإعادة تقسيم الشرق الأوسط وفق مخطط يعرف بمخطط كيسنجر .**

– **اشتراكه فى إعداد تقرير « بارد » الداعى لاعتبار السعودية دولة عدوة راعية للإرهاب بما يستدعى توجيه**

ضربة لها تعقبها ضربة لإيران (بعد أحداث أفغانستان وأثناء الدعوة لضرب العراق) .

ومهما كان موقفك من هذا اليهودى المتعاطف كلياً مع إسرائيل فإن عليك الاعتراف بانه يملك كما هائلاً من المعلومات ومعايشة ومعاينة العديد من الأحداث المفصلية التى ستترك آثارها على العالم لعقود قادمة .

ومن السذاجة بمكان أن ننتظر عرض كيسنجر للحقائق فى مذكراته . لكننا نجد فيها نوعاً من قائمة النصائح المثالية . ولكن ماذا عن جرائم الحرب والعمليات السوداء التى أشرف عليها هذا السياسى الداهية ؟

لعلنا نجد الإجابة عن هذا السؤال فى كتاب « محاكمة كيسنجر » لمؤلفه كريستوفر هيشنز الذى يضىء جوانب أخرى للحقيقة التى لم تعد خافية على أحد ، بعد عمر من الجرائم التى ارتكبتها السياسة الأمريكية بحق شعوب العالم منذ قنبلة هيروشيما مروراً بحرب فيتنام وحصار كوبا وصولاً إلى ضرب العراق وأفغانستان .

والكتاب يتناول جرائم الإبادة الجماعية التى تبين تجاهل الدبلوماسية الأمريكية للمواثيق والأعراف الدولية ، ولطالما كشفت الوثائق السرية تورط الساسة الأمريكيين الكبار بجرائم منظمة ضد الشعوب الأخرى ، مما يلغى أية مصداقية للخطب والمبادىء التى تنادى بها الادارة الأمريكية فيما يتعلق بقضايا الديمقراطية وحقوق الإنسان ، مثلها فى ذلك مثل حليفتها الاستراتيجية « إسرائيل » وكأن هاتين الدولتين فوق القانون .

والعمليات السوداء والاغتيالات التى شارك فيها هنرى كيسنجر إما بالتخطيط لها أو دعمها ماديا ومعنويا باعتباره مستشارا للأمن القومى ووزيرا للخارجية فى عهدى الرئيسين نيكسون وفورد ، حين كان المسئول الأول فى « لجنة الأربعين » وهى هيئة شبه سرية ، عملاقة وأخطبوطية ، قامت بالإشراف المطلق على العمليات القذرة فى الخارج بين ١٩٦٩ و ١٩٧٦ من القرن العشرين على حد تعبير المؤلف كريستوفرهيشنز .

ويعترف هيشنز بأنه أحد خصوم كيسنجر السياسيين ، ومع ذلك فقد كان مضطرا لحذف الكثير من المادة المخزية التى توافرت بين يديه والإبقاء فقط على الإساءات الكيسنجرية التى تشكل قاعدة وأساسا لمساءلة قانونية وقضائية ، أى ما يمكن اعتباره جرائم حرب فى العرف الدولى ، وهكذا تجاهل الكاتب مثلاً تجنيد كيسنجر لأكراد العراق ثم خيانته لهم ، والتغطية السياسية والعسكرية والدبلوماسية لسياسة التمييز العنصرى فى جنوب أفريقيا واكتفى بجرائم القتل الجماعى المتعمد للسكان المدنيين فى الهند الصينية وبنجلاديش وتيمور الشرقية ، والتخطيط والتحريض على قتل مسئولين دستوريين فى دول ديمقراطية مثل تشيلى وقبرص ، كذلك التورط فى خطة لاختطاف وقتل صحفى يونانى معارض يعيش فى واشنطن ويتمتع بالحماية الأمريكية وأن كيسنجر كان أحد العملاء السريين الذين عملوا عام ١٩٦٨ على تخريب مفاوضات السلام التى كانت جارية فى باريس بين فيتنام الجنوبية والشمالية وذلك بالتأكيد للحكام العسكريين فى فيتنام الجنوبية أنه إذا وصل الحزب الجمهورى

الأمريكى إلى السلطة فسوف يقدم صفقة أفضل من تلك التى يقدمها لهم الحزب الديمقراطى ، مما أدى إلى انسحاب الطغمة الفيتنامية الجنوبية من المحادثات ، الأمر الذى أسفر عن تلك الحرب المدمرة التى دارت لمدة أربع سنوات ، وراح ضحيتها عشرون ألف جندى أميركي وعدد لا يحصى من الفيتناميين واللاوسيين والكمبوديين دون أى مبرر ، والتى انتهت بنفس بنود محادثات السلام فى باريس قبل ذلك ، إن هؤلاء الضحايا كانوا ثمن ترقية هنرى كيسنجر من شخص عادى وجامعي انتهازى ليصبح ملكاً دولياً وكانت سماته المميزة حاضرة من اللحظات الأولى التى تولى فيها منصبه : التملق والازدواجية وعبادة النفوذ ، والنتائج المميزة كانت حاضرة أيضاً: جثث لا تعد ولا قيمة لها ، كذب رسمى وغير رسمى فيما يتعلق بالثمن . أما فيما يخص جريمة بنجلاديش ففى عام ١٩٧٠ سمحت الحكومة العسكرية الباكستانية بإجراء أول انتخابات حرة فى باكستان الشمالية ، التى تعرف بالجناح البنغالى لدولة باكستان الشرقية المعروفة لسكانها الأصليين باسم بنجلاديش - وقد فاز بالتصويت الشيخ مجيب الرحمن رئيس رابطة عوامى المتمركزة فى البنغال ، وفى العام التالى أقدم الجيش الباكستانى على ضرب العاصمة البنغالية داكا واختطاف رئيسها ونقله إلى باكستان الغربية ، وذبح مؤيديه وطرد الصحافة الأجنبية . وارتكاب الكثير من المجازر بحق المدنيين ، وفى ذروة هذه المجازر الجماعية التى نفذت بأسلحة ودعم أمريكى بعث كيسنجر برسالة إلى اللواء يحيى خان يشكره فيها على حسن كياسته وبراعته بصورة أكثر

دموية . وتكررت المأساة فى دولة مستقلة كانت تعتبر مثالاً للديمقراطية والتعددية فى أمريكا اللاتينية هى شيلى ، فما أن فاز مرشح اليسار د. سلفادور الليندى بانتخابات حرة فى عام ١٩٧٠ حتى بدأ الدور المستتر لإدارة نيكسون وكيسنجر فى التدمير الاقتصادى والسياسى وزعزعة الاستقرار وصولاً إلى الانقلاب العسكرى الدموى عام ١٩٧٣ الذى راح ضحيته الليندى وأهم حكم ديمقراطى فى الأمريكيتين وآلاف الضحايا المدنيين ، وليس من داع هنا للاستطراد فى ذكر ضحايا بينوشيه ديكتاتور شيلى الذى كان كيسنجر بنفسه يدعم ويمول سياسته القمعية . كارثة قبرص عام ١٩٧٤ لا تقل مأسوية عن سابقاتها ، حيث تم خلع الرئيس الدستورى مكاريوس وقتله ، وقد كان كيسنجر على علم مسبق بالخطة التى نفذها الديكتاتور اليونانى ديمتريوس إيونيدس « رئيس الشرطة السرية » للقضاء على الحكم الديمقراطى فى قبرص ووضعها تحت هيمنة أثينا . جريمة أخرى حدثت فى تيمور الشرقية الواقعة على الأرخبيل الأندونيسى ، التى حكمتها بعد استقلالها من البرتغال عام ١٩٧٤ حركة يسارية تعرف باسم فريتلين أو جبهة تحرير تيمور الشرقية ، وكانت الجبهة ذات ميول يسارية وامتدت شعبيتها من الكنيسة وحتى طلاب الجامعة ، فما كان من القوات الأندونيسية إلا أن اجتاحت الحدود وضمت تيمور لها فى عام ١٩٧٥ أثناء حكم سوهارتو ، وقد كان كيسنجر فى أندونيسيا قبل يوم من الاجتياح وباركه ودعمه بعد ذلك بكل السبل . إن الحقائق والأرقام تثير التساؤل والقلق الحاد حول مستقبل البشرية برمتها ، إذ كيف يمكن

لشخص مثل كيسنجر ارتكب كل هذه الجرائم الفظيعة بحق الدول والشعوب الأخرى ، أن يظل حراً طليقاً حتى يومنا هذا وينال جائزة نوبل للسلام ويعين مؤخراً رئيساً للجنة المعنية بمكافحة الإرهاب فى العالم ، وإذا كان أمر كيسنجر وشركائه قد افتضح أخيراً بعد الإطلاع على مذكرات كيسنجر الشخصية التى باعها لمكتبة الكونجرس على أن تظل مختومة إلى ما بعد موته ، وإذا كانت الصدفة وحدها هى التى أدت إلى افتضاح هذه المذكرات ، فهل بإمكاننا أن نتصور عدد المجرمين الآخرين الذين يتمتعون بالحصانة الكاملة ويقودون السياسات الأمريكية وينصبون أنفسهم أسياداً على عالمنا الذى بات يختنق حقاً تحت وطأة قطاعتهم؟! .

وخلال مسيرته السياسية الممتدة لنصف قرن سخر كيسنجر كل قواه الاستراتيجية السياسية « **جيو بوليتيكس** » ، وهذا المصطلح الغامض ابتدعه السير البريطاني « هالفارد ماكيندر » فى مطلع القرن العشرين ، وساهم مساهمة فعالة فى إشعال الحرب العالمية الأولى .

وقد طور هنرى كيسنجر استراتيجياته « **الجيوبوليتيكية** » معتمداً على السياسات المضادة للثورة الأمريكية التى خلقها اللورد « كاستيلريا » البريطانى والأمير النمساوى « ميترنيخ » فى مؤتمر فيينا عام ١٨١٥ ؛ حيث يمتدح كيسنجر نفسه هذه السياسات فى رسالته للدكتوراه A World Restored عدا ذلك ، فإن مصدر إلهامه الرئيسى كان دائماً من وزارة الخارجية البريطانية (**باعتبارها تمثل تراثاً استعمارياً**) ، كما أعلن هو

نفسه ذلك مراراً فى خطبه ومحاضراته .

يجتر كيسنجر ولعه « **بالتفكير الجيوبوليتيكى** » الذى يدعى أنه قد تم إهماله أثناء إدارة الرئيس كلينتون ، ويتم إحياؤه الآن فى عهد الرئيس جورج بوش الابن . فهو يجاهر بأن «الجيوبوليتيك لم يختف بعد كجزء من السياسات العالمية » ، ويطرح « استراتيجيات جيوبوليتيكية » لآسيا وروسيا وأجزاء أخرى من العالم . مع ذلك فالمعلم الاستراتيجى المحترف كيسنجر يشعر بالذعر لأن النظام الاقتصادى العالمى يتأرجح بدون سيطرة، وأن ذلك سيحول جميع مخططاته الكبرى إلى حطام .

فهو لا يخفى فزعه من أن هذه الأزمة ستدفع دولاً مثل البرازيل فى أمريكا الجنوبية وجنوب أفريقيا وآسيا إلى قلب « شروط اللعبة » ، وهى شروط تمكن هو ورفاقه فى المؤسسات المالية - السياسية الأنجلو أمريكية من فرضها على العالم منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية .

فى مثل هذه الحالة النفسية والعقلية ، لا يكون أمام كيسنجر إلا الحل الوحيد الذى طالما لجأ إليه فى الأوقات العصيبة ، وهو : إشعال حرب وتأسيس نظام دكتاتورى عالمى « لإدارة الأزمة » أما بؤرة اهتمام هذه النية الحربية ، فهى كالعادة الوضع المتفجر فى « الشرق الأوسط » .

قد لا تكون هذه المسألة ذات أهمية إن كان كيسنجر يتحدث بصفته الشخصية فحسب ، فالحالة النفسية التى يكتب فيها كيسنجر مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالتطورات الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية العالمية التى تبرز اليوم ، كيسنجر يتحدث بالنيابة

عن شبكة تمتد من داخل إدارة بوش الحالية وإلى طبقات عليا فى بنوك نيويورك ومؤسساتها المالية . فمسيرته السياسية لم تكن يوماً ملكه هو . ومنذ البداية كان من اتباع البروفيسور « وليام ياندل إليوت » الأستاذ فى جامعة هارفارد وعاشق إنجلترا الإمبريالية . لذلك فعندما يتحدث كيسنجر أو يكتب، فإن ذلك يعنى أن « لجنة » أنجلو أمريكية ذات تأثير من نوع ما تعبر عن نفسها .

من البدايات الأولى يبين كيسنجر قلقه من الوضع الاقتصادى العالمى ، ويتناقض هذا القلق مع محاولاته كيل المديح للعولمة وطبيعة القوة الأمريكية التى لا تقهر ، فيحذر قائلاً : « إن الأزمة الاقتصادية العالمية هى أكبر تهديد للديمقراطية المعاصرة » . ثم يضيف : « إن وقوع أزمة مالية مهمة أخرى فى آسيا أو فى الديمقراطيات الصناعية ، سيعجل بالتأكيد جهود دول أسيوية للحصول على سيطرة أكبر على مصائرها السياسية والاقتصادية عن طريق خلق بديل أسيوى للنظام الإقليمى الحالى » .

إن بروز تكتل أسيوى معاد يضم مزيجاً من أكثر دول العالم كثافة بالسكان (الصين والهند) وأكثرها وفرة فى الموارد الطبيعية (روسيا وآسيا الوسطى) وأكثرها تقدماً من الناحية الصناعية (اليابان) لن يكون فى المصلحة القومية لأمريكا » . فهو يشعر بالقلق من احتمال ظهور دعم متزايد لسياسات الحماية الاقتصادية التى تتبعها ماليزيا والصين والهند ، وكلها دول قاومت إعصار « الأزمة الأسيوية » بشكل أحسن من تلك الدول التى رضخت لوصفات صندوق النقد الدولى .

ويذكر كيسنجر الأزمات الاقتصادية المتتالية فى السنين الأخيرة فى روسيا والبرازيل والأرجنتين وإكوادور و .... إلخ ، ويقول : « كم من هذه الأزمات الطاحنة بإمكان النظام العالمى تحملها دون خلق كوارث اجتماعية وسياسية ؟ ماذا سيحصل إذا أضفنا ركوداً أمريكياً إلى المعادلة .. عندما يكون النمو العالمى متكلاً كل هذا الاتكال على أداء الاقتصاد الأمريكى ، سيؤدى إلى هبوط طالت مدته أو قصرت إلى نشر الخراب فى أرجاء النظام المالى والسياسى العالمى .. فالغيوم السوداء المتراكمة فوق سماء العولمة هى تهديد بتفكك عالمى لنظام السوق الحر تحت الضغط جالباً معه كل المخاطر التى قد تلحق بالمؤسسات الديمقراطية .. فالنظام المالى العالمى بحاجة إلى تقليص مدى تقلبه وأن يتعلم كيفية امتصاص تأثيرات الأزمات بشكل أكثر فاعلية .

فى هذا السياق يدلنا هوس كيسنجر بالجيوبوليتيك إلى أنه وأصدقاءه يبحثون عن حرب . وتزداد الشكوك فى ذلك حين يكتب أن « الصراعات فى الشرق الأوسط تشابه إلى حد بعيد الصراعات الأوربية فى القرن السابع عشر .. (لكن) مبادىء دبلوماسية السلام الويستفالية لا تنطبق على الوضع فى الشرق الأوسط » إن ما يشير إليه هنا هو معاهدة سلام « ويستفاليا » التى أبرمت فى عام ١٦٤٨ واضعة بذلك حداً « لحرب الثلاثين سنة » الدينية التى استمرت من عام ١٦١٨ إلى ١٦٤٨ فى أوربا ، بعد أن خلفت دماراً شاملاً فى معظم أرجاء القارة . وقد أصرت معاهدة ويستفاليا على وضع أساس جديد للشرعية الدولية يتمحور حول الاعتراف بالسيادة المطلقة للدولة القومية وعقد

اتفاقيات تخص التسامح الدينى بين تلك الدول ورفض مبدأ الثأر والقصاص فى الحسابات السياسية .

ومع تأكيد كيسنجر أن « مبادىء دبلوماسية السلام الويستفالية » لا يمكن تطبيقها فى الشرق الأوسط ، وإصراره على « تشابه » حالة الشرق الأوسط مع أحوال حرب الثلاثين عاماً الأوروبية فى القرن السابع عشر ، فإن ما يقوله كيسنجر فى واقع الأمر هو أن وقوع حروب جديدة أمر لا مفر منه ، بل ومرغوب أيضاً .

وبالرغم من أن نظرة كيسنجر إلى مستقبل آسيا ليست بنفس قسوة وصراحة نظرته إلى الشرق الأوسط . لكن النظرة الكيسنجرية تقول إن الحرب تلوح فى أفق آسيا أيضاً . فهو يشبه الوضع فى آسيا اليوم بالوضع فى القرن التاسع عشر . فآنذاك كانت السياسة الناجحة الوحيدة هناك هى سياسة « موازنة القوى» التى مارستها الإمبراطورية البريطانية . لذلك على الولايات المتحدة اليوم ممارسة سياسات « موازنة القوى » لمنع ظهور «تجمع مناهض» لأمريكا فى آسيا ، أو فى أوراسيا عموماً .

يقول كيسنجر : « **إن بالإمكان مقارنة علاقة أمريكا بآسيا اليوم بعلاقة بريطانيا بقارة أوربا خلال أربعة قرون** » . ثم يقتبس بسخاء من كتاب ونستون تشرشل « العاصفة القادمة » الصادر عام ١٩٤٨ : « **خلال ٤٠٠ عام ، كانت السياسة الخارجية لإنجلترا مبنية على التصدى للقوة القارية الأكثر قوة وشراسة وهيمنة** » . وتشمل هذه الحقبة كما يشدد تشرشل على ذلك حملات اللورد مالبورو (أحد أسلاف تشرشل)

ضد القارة وحروبه التى خاضها ضد فرنسا ، وتشمل أيضاً الحرب العالمية الأولى .

وإذا قارنا ظهور التحالف الأورأسيوى بين الصين ودول أسيوية أخرى وروسيا وبعض الدول الإسلامية من جهة وعملية التعبئة الجارية للأساطيل الأمريكية والبريطانية لدق إسفين فى وسط القارة الأورأسيوية من جهة أخرى ، فإن الصورة ستتضح أكثر فى ضوء ما يقوله كيسنجر . فالقضية التى تهم كيسنجر ومَنْ يستمع إلى استشاراته هى منع ظهور بديل سياسى - اقتصادى حقيقى وقوى على هذه القارة الشاسعة يستبعد أمريكا وبريطانيا عندما ينهار نظام العولمة المالى والنقدى الذى تسيطران عليه .

فليس أمام الولايات المتحدة سوى الحرب لاسترداد سيطرتها وهيبتها ، وتحولها إلى إمبراطورية كونية « لا تحتاج إلى سياسة خارجية » أو دبلوماسية . وقد قدمت عملية ضرب مركز التجارة العالمى والبنتاجون يوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١ الذريعة المناسبة للقيام بذلك . فكل مَنْ ينظر إلى حجم التعبئة العسكرية والسياسية التى تقوم بها أمريكا يدرك أن القضية أكبر من « أسامة بن لادن » و«طالبان » و صدام حسين إنها « حرب .. طويلة .. طويلة » ..!!



السياسة الأمريكية

■■ فى حرب يونيو ١٩٦٧ أثبت سير الأحداث أنه ما من شك حول حصول إسرائيل على ضوء أخضر أمريكى لشن حرب خاطفة ضد الدول العربية بهدف توسيع رقعة الدولة اليهودية وأيضاً لإحداث شرخ فى المد القومى العربى بالمنطقة . ■■

أزمة كيسنجر

حرب أكتوبر

وعملية السلام

فى الشرق الأوسط

منذ أكثر من نصف قرن ، كان الصراع العربي ـ الإسرائيلي ، ولم يزل يمثل التحدي الرئيسي لمقومات الوجود القومي العربي . حيث اتخذ الصراع ومنذ بدايته ، أبعاداً إقليمية ودولية عديدة ، فتباينت مواقف الأطراف داخله ومواقف القوى الدولية المرتبطة به . ولما كان الدور الأمريكي دوراً أساسياً في الصراع منذ الحرب العالمية الثانية ، وسيبقى - على ما هو في ظل المتغيرات الدولية والنظام العالمي الحالي ، فإن المزيد من التفهم للسياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي ـ الإسرائيلي يصبح مهماً وحيوياً .

لم تستطع الحركة الصهيونية الحصول على قرار دعم خلال فترة الرئيس الأمريكي روزفلت ، الذي كان قد أعطى وعداً للملك عبد العزيز آل سعود بألا يأخذ قراراً تجاه المسألة العربية ـ الإسرائيلية .

وبعد أسابيع من وفاته تحركت المنظمة الصهيونية فوراً من أجل استبدال قرار روزفلت . حيث تمكن أحد مسئوليها ويدعى

(إيمانويل سلر) من إقناع الرئيس ترومان أنه ما لم يقدم الدعم للسياسة الصهيونية والاعتراف بدولة (إسرائيل) فإن اليهود سوف يصوتون للجمهوريين من خلال المساهمة فى إنجاح حملة منافسة (ديوى) الانتخابية .

ولما كان ترومان هو الأضعف فى الانتخابات التمهيدية الفصلية لعام ٤٦ ، لم يكن له من سبيل للوصول إلى البيت الأبيض إلا بتنفيذ شروط المنظمة الصهيونية ، وهذا ما تم فعلاً ففى مارس ١٩٤٧ ، أعلن الرئيس هارى ترومان مبدأه الذى ينص على التدخل المباشر للولايات المتحدة فى أوروبا والشرق الأوسط بهدف تقديم المساعدة العسكرية والاقتصادية للحكومات الموالية لها ضد السياسة السوفيتية ، إضافة إلى قراره الذى يقضى بتأييد تقسيم فلسطين وإنشاء (دولة إسرائيل) فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ .

ولكى تحقق الولايات المتحدة أهدافها فى الشرق الأوسط ، سعت إلى ربط بلدان المنطقة بسياسة الأحلاف ، التى صممها وزير الخارجية الأسبق دالاس فى مطلع الخمسينات .

مبدأ أيزنهاور:

كان دوايت أيزنهاور هو الرئيس الرابع والثلاثون للولايات المتحدة الأمريكية ، عن الحزب الجمهورى ، خلال الفترة ١٩٥٣ - ١٩٦١ .

وقبل ذلك كان جنرالاً فى الجيش الأمريكى ، وهو المهندس الرئيسى لاجتياح الحلفاء لأوروبا خلال الحرب العالمية الثانية ، الذى أفضى فى المحصلة إلى هزيمة ألمانيا النازية .

وخلال وجوده فى البيت الأبيض ، كرئيس للولايات المتحدة الأمريكية ، أنهى أيزنهاور الحرب الكورية . وفترتا رئاسته (١٩٥٣ - ١٩٦١) لم تحملا أية سمات مميزة على صعيد السياسة الخارجية ، حيث اعتبرت رئاسته فترة هادئة على هذا الصعيد ، مع ذلك فقد ارتبط اسم ايزنهاور بالشرق الأوسط ، والعالم العربى ، من خلال المبدأ المعروف باسمه ، وهو مبدأ ايزنهاور .

يتجسد هذا المبدأ فى الإعلان الصادر عن الكونجرس الأمريكى فى عام ١٩٥٦ ، الذى حدد الإطار العام للاستراتيجية الأمريكية فى الشرق الأوسط فى المرحلة التى أعقبت العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ مباشرة ، والذى هدف أساساً إلى احتواء التمدد السوفيتى باتجاه المنطقة . وتضمن الإعلان العناصر التالية :

١ - تفويض الرئيس الأمريكى سلطة استخدام القوة العسكرية فى الحالات التى يراها ضرورية لضمان السلامة الإقليمية ، وحماية الاستقلال السياسى لأى دولة ، أو مجموعة من الدول فى منطقة الشرق الأوسط ، إذا ما طلبت هذه الدول مثل هذه المساعدة لمقاومة أى اعتداء عسكرى سافر تتعرض له من قبل أى مصدر تسيطر عليه الشيوعية الدولية .

٢ - تفويض الحكومة فى تفويض برامج المساعدة العسكرية لأى دولة أو مجموعة من دول المنطقة إذا ما أبدت استعدادها لذلك ، وكذلك تفويضها فى تقديم العون الاقتصادى اللازم لهذه الدول دعماً لقوتها الاقتصادية وحفاظاً على استقلالها الوطنى .

كيندى وعبد الناصر :

كان جون كيندى هو الرئيس الخامس والثلاثون للولايات المتحدة الأمريكية ، خلال الفترة (١٩٦١ - ١٩٦٣) ، عن الحزب الديمقراطى .

ويعتبر كيندى أصغر رئيس منتخب للولايات المتحدة الأمريكية .

ورغم قصر فترة رئاسته نسبياً ، التى امتدت لأقل من ثلاث سنوات فقط ، على إثر اغتياله فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٣ فى مدينة دالاس بولاية تكساس ، يعتبر كيندى رائد إطلاق برنامج الفضاء الأمريكى .

أما على صعيد الشرق الأوسط ، فقد شهدت فترة رئاسة كيندى محاولات للانفتاح على البلدان العربية ، ولا سيما مصر فى عهد الرئيس جمال عبد الناصر . وهناك اتصالات عديدة تمت بين الزعيمين وكان من الواضح أن هذه الاتصالات ربما تؤدى إلى فتح صفحة رائعة من العلاقات المصرية - الأمريكية . فقد كان هناك احترام متبادل بين عبد الناصر وكيندى . ولم يكن كيندى من أولئك الرؤساء الأمريكيين الذين خضعوا تماماً للنفوذ الصهيونى وربما كان هذا هو أحد أسباب اغتياله . والدليل على ذلك أن خليفته ليندون جونسون قد سار فى اتجاه معاكس تماماً بالنسبة للشرق الأوسط وكأنه تعلم درس جون كيندى . ولا شك أن الدور التآمرى الذى لعبه جونسون مع إسرائيل فى عدوان يونيو ١٩٦٧ كان أحد ثمار هذا الدرس .

كذلك شهدت هذه الفترة الأزمة الأخطر على صعيد الحرب

الباردة ، التى تمثلت فيما عرف بأزمة الصواريخ الكوبية فى عام ١٩٦٢ . فى المقابل ، فقد تم فى عام ١٩٦٣ التوقيع ، مع كل من الاتحاد السوفيتى وبريطانيا ، على معاهدة لحظر التجارب النووية فى الجو ، كأولى اتفاقيات الحد من التسلح في ظل الحرب الباردة .

حرب يونيو (الضوء الأخضر) :

ولقد أثبت سير الأحداث ، إنه ما من شك ، حول حصول (إسرائيل) على (ضوء أخضر) أمريكى لشن حرب خاطفة ضد الدول العربية ، بهدف توسيع رقعة (دولة إسرائيل) من جانب ، ومحاولة ضرب وشرخ المد القومى العربى فى المنطقة من جانب آخر . حيث وجهت إدارة جونسون إلى الرئيس جمال عبد الناصر إنذاراً تضمن البنود التالية :

أولاً : خروج مصر من الصراع العربى - الإسرائيلى .

ثانياً : تصفية الاتحاد الاشتراكى العربى .

ثالثاً : إدخال نوع من التنظيم على الإدارة وتحديد عدد الموظفين بـ ١٨٠ ألفاً .

رابعاً : تحديد عدد الجيش المصرى بـ ١٥٠ ألفاً .

خامساً : إلغاء التأميم وإنهاء القطاع العام .

وحول (الضوء الأخضر) الأمريكى ، يقول وليم كوانت عضو مجلس الأمن القومى الأمريكى السابق إنه (فى ٢٦ مايو ١٩٦٧ توجه أبا ايبان وزير خارجية إسرائيل إلى البنتاجون ، حيث أبلغه القادة العسكريون ، أن الإسرائيليين سوف يكسبون بسرعة) . بيد أن الأمر المهم فى هذا الخصوص ، هو تلك الزيارة

السرية التى قام بها مائير عميت ، مدير المخابرات الإسرائيلية إلى واشنطن فى ٣٠ مـايو ، وقد تلقى انطباعاً من روبرت مـاكنمارا وزير الدفاع الأمريـكى ، وريتشارد هيلمز مدير وكالة المخابرات بأنه (إذا تصرفت إسرائيل بنفسها وحققت انتصاراً حاسماً ، فلن ينزعج أحد فى واشنطن من ذلك) .

هذا بالإضافة لما أشار إليه المسئولون الأمريكيون فى أحاديثهم الخاصة ، حول الظروف السياسـية التى يمكن لإسرائيل بموجبها أن تحـتـفظ بالأراضى التى تسـتـولى عليـهـا من دون الإضـرار بالمصالح الحيوية للولايات المتحدة فى المنطقة .

وهناك نقطتان حـاسمتـان فى الموقف الأمريكى ، الأولى ، هى عدم تكـرار خطأ العدوان الثـلاثى ، حيث أدت مـشاركة بريطـانيا وفرنسا فى الحـرب إلى تدويل النزاع وتحويله إلى قضيـة عالمية صاخـبة ، والثـانية تقديم الدعم لدولة إسرائيل ، والضـمان بأنَ الولايات المتـحدة لن تتـدخل لإرغامـها على التـخلى عن الأراضى المحتـلة كما حـدث فى عام ١٩٥٧ إلا فى ظـل شروط أمريكـية ـ إسرائيلية مشتركة وقاسية .

وقـد قامت السـياسـة الأمريكية بعـد وقف إطلاق النار على ضرورة التوصل إلى تسوية للصراع العربى ـ الإسرائيلى بمعزل عن العـودة إلى ترتيبـات الهدنـة المؤقت التى تم اتخاذها فى عـام ١٩٥٧ . حيث كـان قرار مجلس الأمن ٢٤٢ الركيـزة الجديدة فى السياسـة الخـارجيـة الأمريكيـة ، التى تؤكد ضـرورة الربط بين الانسحاب والتسوية النهائية فـقد تأكدت هذه السياسة فى خطاب الرئيس جـونسـون فى ١٩ يونيـو ٦٧ ، حيث عـرض الشـروط

الثابتة ، بدءاً من السلام مع إسرائيل ، مروراً باشتراط نمط معين للتنمية والابتعاد عن السوفيت وانتهاء بتشكيل الأحلاف الإقليمية والثنائية لخدمة وضمان المصالح الأمريكية فى المنطقة .

نيكسون والصراع :

وبعد توليه مهام الرئاسة ، سعى ريتشارد نيكسون إلى وضع إطار عام يحدد اتجاه سياسته الخارجية ، عرف فيما بعد باسم (مبدأ نيكسون) ، ومع أن القضية الفيتنامية شكلت قمة أولويات إدارته ، إلا أن الرؤية الأمريكية لم تتغير بصفة عامة حول الصراع العربى ـ الإسرائيلى ، حيث لخص نيكسون الموقف الأمريكى لتسوية الصراع فى تقريره لعام ١٩٧١ على أساس :

أولاً : تعهد البلدان العربية بقبول التزامات محددة فى اتفاقية سلام مع إسرائيل .

ثانياً : تعهد إسرائيل بالانسحاب من أراض محتلة كجزء من اتفاقية سلام ملزم يقيم حدوداً آمنة ومعترفاً بها .

ثالثاً : دخول الطرفين فى عملية مفاوضات للاتفاق على الشروط والبنود التفصيلية للتسوية . وعندما انعقد مؤتمر قمة موسكو فى مايو ١٩٧٢ ، أرفقت بالبيان الختامى للمؤتمر (مبادىء عامة) تخص منطقة الشرق الأوسط لم تأت بجديد فيما يتعلق بالتسوية . وما عدا الصياغة الجديدة التى تقدم بها وزير الخارجية السابق هنرى كيسنجر ، الخاصة بالفصل بين السيادة والأمن ، لم يكن هناك أى تغيير فى الرؤية الأمريكية ، التى بقيت تحكم الموقف الأمريكى حتى حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

وكانت حرب أكتوبر سنة ٧٣ ، بمثابة الصدمة المباشرة للإدارة

الأمريكية التى لم تقم وزناً ، أو اعتباراً لإرادة الدول العربية ودورها الحضارى فى منطقة الشرق الأوسط .

فقد كشفت هذه الحرب عن عجز الأداء العسكرى الإسرائيلى ، الذى أثار شكوك الإدارة الأمريكية فى كون (إسرائيل) تمثل كنزاً استراتيجياً فى المنطقة .

ودفع ذلك إدارة نيكسون ، إلى اتخاذ قرار فرض وقف إطلاق النار ، الذى كان ثمنه انسحابات فك الارتباط الإسرائيلية فى سيناء والجولان ، بالتزامن مع قيام الجسر الجوى الضخم لإنقاذ (إسرائيل) من سقوطها المحتمل .

وعلى قاعدة هذه الوقائع ، بدأ كيسنجر جولته المكوكية مع التلميح بالتدخل العسكرى وفق أولوياته :

- إنهاء الحظر النفطى العربى .
- توقيع اتفاق فك الاشتباك .

كارتر وخيار كامب ديفيد :

بعد فشل محاولات التسوية الشاملة للصراع العربى - الإسرائيلى ، وقيام الرئيس السادات بزيارة القدس فى نوفمبر ١٩٧٧ ، عملت إدارة كارتر على تكييف سياساتها مع المعطيات الجديدة فى تطور الصراع ، فأهملت جهدها السابق بشأن استئناف مؤتمر جنيف .

وبدلاً من ذلك وضع مستشار الرئيس لشئون الأمن القومى ، سياسة تقوم على ثلاث دوائر أهمها الدائرة الأولى التى تضم كلا من مصر وإسرائيل والولايات المتحدة تلك السياسة التى افضت إلى توقيع اتفاقيات (كامب ديفيد) ، ومن ثم معاهدة السلام

المصرية ـ الإسرائيلية فى ٢٦ مارس ١٩٧٩ ، حيث كشفت عن حقيقة الرؤية الأمريكية تجاه (تسوية النزاع) ، التى ظلت تتمحور حول قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، وفق التفسير الأمريكي الإسرائيلى لذلك القرار .

من ريجان إلى كلينتون :

لم تتغير السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربى ـ الإسرائيلى كثيراً فى عهد إدارة ريجان ، بل تطورت فى تصاعد نتيجة سياسة (الإجماع الاستراتيجى ، كأساس للدفاع عن الحليف الأساسى فى المنطقة والمتمثل فى (دولة إسرائيل) ، تلك السياسة التى اقترحها وزير الخارجية الأمريكى الكسندر هيج ، التى تمت ترجمتها من خلال توقيع اتفاق التعاون الاستراتيجى بين واشنطن وتل أبيب لعام ١٩٨١ .

وقد انعكست هذه الحقيقة من خلال الموقف الأمريكى تجاه الغزو الإسرائيلى للبنان فى يونيو ١٩٨٢ ، إذ لم تبد إدارة ريجان استعداداً لممارسة أى ضغوط لوقف العدوان الإسرائيلى على لبنان .

ولقد حددت مبادرة ريجان (الموقف الأمريكى بوضوح ، حيث أكدت المبادرة الالتزام الأمريكى بأمن (إسرائيل) ، وتأييد حقها فى حدود آمنة ، وربطت بين الانسحاب الإسرائيلى وبين إقامة سلام وتطبيع العلاقات مع (إسرائيل) كذلك أكدت المبادرة على ما جاء فى اتفاقيات كامب ديفيد من إقامة حكم ذاتى للفلسطينيين فى الضفة الغربية وقطاع غزة .

ومع مجىء جورج بوش الأب إلى سدة الحكم فى رئاسة البيت

الأبيض ، لم تعد (إسرائيل) مجرد حليف إساسى فى الشرق الأوسط بل وشريك أساسى للولايات المتحدة ، حيث شكل التدخل الأمريكى المباشر فى حرب الخليج الثانية ، الضمان الحقيقى للدفاع عن الوجود الإسرائيلى والمصالح المشتركة فى المنطقة ، من خلال (إغراق) إسرائيل بالمساعدات المادية والعسكرية ، تحسباً لأى (اعتداء) خارجى طارىء .

الانهيار السوفيتى :

ومع انهيار المنظومة الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى ، وفى ظل النظام الدولى الجديد ، الذى يتطلب استقراراً لا بؤر توتر فى العالم ، عقد المؤتمر الدولى للسلام فى مدريد لعام ٩١ ، على مبدأ الأرض مقابل السلام حيث وعدت الإدارة الأمريكية ، أن تلعب دور (الوسيط النزيه) بين أقطاب النزاع ، إلا أن الكونجرس الأمريكى ، لم يزل يعلن بأغلبيته الساحقة ، التأييد المطلق للسياسات الإسرائيلية المتطرفة وخصوصاً تجاه (مسألة القدس) . ففى عام ١٩٩٠ تبنى الكونجرس بالإجماع قراراً أعلن فيه (أن الكونجرس يؤمن بقوة أن القدس يجب أن تبقى مدينة غير مقسمة) ، وفى عام ١٩٩٢ تبنى الكونجرس بمجلسيه قراراً بأحياء الذكرى الـ ٢٥ لتوحيد القدس . وفى مارس عام ١٩٩٣ وقع (٩٣) عضواً فى مجلس الشيوخ رسالة إلى وزير الخارجية وارن كريستوفر (تشجع على بدء التخطيط الآن من أجل نقل مقر السفارة الأمريكية إلى مدينة القدس) وبعد ذلك بشهرين وقع (٢٥٧) عضوا فى مجلس النواب رسالة لكريستوفر تحدد (إن نقل السفارة إلى القدس يجب أن يجرى

فى موعد لا يتعدى عام ١٩٩٩) .

وأخيراً أقر الكونجرس الأمريكى مشروع قانون نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس بحلول مايو من عام ١٩٩٩ وذلك بأغلبية (٩٣) صوتاً ضد خمسة أصوات فى مجلس الشيوخ وبأغلبية (٣٧٤) صوتاً ضد (٣٧) صوتاً فى مجلس النواب (مكافأة لإسرائيل على جهودها لإقامة السلام مع العرب) .

إلا أن الإدارة الأمريكية ، حاولت إظهار نفسها بمظهر المعارض لقرار الكونجرس ، دون أن تذهب بعيداً فى معارضتها إلى حد استخدام كلينتون الفيتو الرئاسى الذى يتمتع به بذريعة أن ذلك (لن يغير النتيجة ولن يؤدى إلا إلى إطالة الجدل ويمكن أن يسبب أضرارا أكبر لعملية السلام) .

إن هذا التصريح الخجول للإدارة الأمريكية ، يؤكد موقفها الضمنى من (العاصمة الأبدية لإسرائيل) ، قبل حلول زمن المفاوضات النهائية حول ملف القدس واللاجئين ، حيث ليس هناك متسع للتفاوض على قضايا باتت منجزة بحكم الواقع القائم .

وأخيراً ، ساهمت الإدارة الأمريكية فى إخراج (اتفاق الخليل) إلى النور ، بعد أن مارست جميع أنواع الضغوط المتوافرة لديها ، على مركز القرار السياسى فى سلطة الحكم الذاتى الفلسطينى .

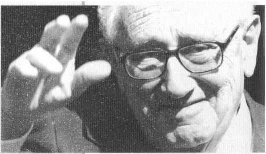
ذلك (الاتفاق) المجحف بحق الفلسطينيين ، والأسوأ من (اتفاق أوسلو) بشكل كبير .

بوش .. السلام الضائع :

وقد جاءت إدارة الرئيس جورج بوش الابن لكى تكتب أسوأ وأخطر فصول الانحياز الأمريكى لإسرائيل التى لم تتورع عن

تمزيق اتفاق أوسلو والتى سعى رئيس وزرائها آرييل شارون إلى هدم ونسف كل فرص التسوية السلمية الشاملة والعادلة للصراع العربى - الإسرائيلى.

وإذا كان الرئيس بوش قد وعد الفلسطينيين بدولة مستقلة بحلول عام ٢٠٠٥، فإن هذا الوعد جاء بكل تأكيد داخل إطار التصور الصهيونى الإسرائيلى الليكودى الشارونى الذى يفرغ مثل هذه الدولة الفلسطينية من أى معنى حقيقى.



لعبة كيسنجر

■■ من وجهة نظر ويليام كوانت العضو السابق فى مجلس الأمن القومى الأمريكى وأحد المشاركين فى مفاوضات كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل ، فإن عملية السلام المصرية - الإسرائيلية بدأت فى اليوم الثانى من حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ ... ! ■■

أزمة كيسنجر

حرب أكتوبر

وعملية السلام

فى الشرق الأوسط

الآن وبعد مرور حوالى ربع قرن على الدور الخطير الذى لعبه هنرى كيسنجر سواء خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ أو فى عقد اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل .. هناك سؤال مهم يطرح نفسه بكل قوة بعيداً عن تضارب الآراء وتصادم الرؤى حول اتفاقيات كامب ديفيد .. ظروفها ومقدماتها وبنودها .

هذا السؤال هو : هل يمكن اعتبار كل ما يتعلق بهذه الاتفاقيات نموذجاً يتعين السعى وراءه من أجل الوصول إلى سلام آخر فى الشرق الأوسط ؟ وبمعنى آخر ، هل يحتاج التوصل إلى سلام بين الفلسطينيين وإسرائيل إلى كيسنجر جديد ، أم أن قواعد اللعبة تغيرت لدرجة جعلت أساليب داهية السياسة الأمريكية جزءاً عتيقاً من التاريخ تجاوزته الأحداث وأصبح الرجوع إليه مجرد عودة إلى الماضى تحتاج لاختراع اسمه آلة الزمن !

على هذا السؤال يجيب أحد رجال وتلاميذ كيسنجر البارزين

وهو ويليام كوانت عضو مجلس الأمن القومى الأمريكى السابق الذى شارك فى مفاوضات كامب ديفيد بين السادات وبيجين وكارتر .

يطرح كوانت تصوراً مهماً لكيفية بداية عملية السلام المصرية- الإسرائيلية التى يرى أنها ولدت فى اليوم الثانى من حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ . ففى اليوم السابع من شهر أكتوبر عام ١٩٧٣ وبعد مرور يوم واحد من اندلاع الحرب بين مصر وإسرائيل ، تلقى البيت الأبيض رسالة عبر قنوات وكالة الاستخبارات الأمريكية وكانت من الرئيس المصرى أنور السادات. يقول السادات فى تلك الرسالة التى كانت مرسلة إلى وزير الخارجية الأمريكى آنذاك هنرى كيسنجر والرئيس نيكسون «اعلم جيداً أنه مادامت الحرب مستمرة ستبقى حتماً هناك خلافات بيننا. ولكننى أود أن أخبرك أننى لم أذهب إلى تلك الحرب بدافع تدمير إسرائيل وإنما لتدمير ما يعوق طريق السلام وعندما تنتهى الحرب فإننى أطلب منكم أنتم أيها الأمريكيون أن تتدخلوا وتساعدوا فى العثور على حل دبلوماسى لهذا الصراع ».

وطبقاً لما يقوله ويليام كوانت ، فإن هذه الرسالة كانت الأولى من نوعها التى تستلمها الولايات المتحدة من الرئيس المصرى أنور السادات .

ووصف كوانت فى مقابلة معه من مكتبه فى ولاية فرجينيا الأمريكية ، الظروف التى مهدت الطريق إلى اتفاقية كامب ديفيد

كما أوضح آراءه بالنسبة للمحاولات التى قامت بها الإدارات الأمريكية المتلاحقة فى سبيل صياغة السلام عن طريق الضغط على النقاط المشتركة بين الأطراف وكذلك فلقد ذكر كوانت فى هذه المقابلة آراءه فى الشخصيات المختلفة التى تعمل على مائدة المفاوضات وكذلك فيما يعتبره مبادىء الوصول لتسوية فى المستقبل.

لقد وضعت رسالة السادات للبيت الأبيض الكرة فى الملعب الأمريكى. يقول كوانت « لقد جعلت هذه الرسالة كيسنجر يفكر ملياً فى تلك اللحظة التى ستنتهى فيها الحرب ، وكان عليه أن يعمل بجد للوصول إلى تسوية سلمية ومع اقتراب انتهاء حرب أكتوبر أصبح كيسنجر عازماً على ألا يسمح للإسرائيليين بتدمير الجيش المصرى لأنه كان يعلم أن تلك الاحتمالية ستجعل من المستحيل أن يجلس السادات على مائدة المفاوضات مع إسرائيل.

وجاءت قمة كامب ديفيد بعد خمس سنين من انتهاء الحرب وبعد فترة من الدبلوماسية المكثفة. فيقول كوانت « كان لكل منا تنبؤ صحيح إلى حد كبير حيال النتيجة التى ستصل إليها المفاوضات ، كما يضيف « ولم يكن السؤال حينها يدور حول فحوى الاتفاق المصرى - الإسرائيلى بقدر ما كان يدور حول ما يمكن الحصول عليه من سلام يفوق حدود اتفاق ثنائى بين مصر وإسرائيل ». وطبقا لكلام كوانت ، فإن كل مَنْ شارك فى مفاوضات السلام بين مصر وإسرائيل كان يملك تصوراً بأنه إذا

تم إحلال السلام بين الطرفين ، فإن ذلك يستلزم عودة شبه جزيرة سيناء بالكامل إلى مصر فى مقابل اعتراف مصر بدولة إسرائيل وأمنها .

ولا يمكن بأى حال من الأحوال مقارنة ما دار بين مصر وإسرائيل فى كامب ديفيد بما يجرى الآن على الساحة فى الشرق الأوسط ، فلقد أصبح الوضع أسوأ بكثير . يرى كوانت أن الرئيس الأمريكى جورج دبليو بوش قد حافظ لفترة قصيرة على ابتعاده عن التورط فى قضايا صنع السلام الشائكة ، ويقول أيضاً « إنه لم يعد هناك أساس يمكن البناء عليه ، وعلى عكس الوضع فى كامب ديفيد حيث كان هناك زعيمان قويان نسبيا يديران الصراع فلدينا الآن زعيم قوى للغاية هو شارون وعلى الجانب الآخر هناك الزعيم الفلسطينى الذى لم يتم اختباره بعد » .

فإذا نظرنا إلى رئيس الوزراء الإسرائيلى السابق مناحم بيجين وكان ايديولوجيا حقيقياً ، فإنه لم يكن ليوافق أبداً على اقتراح إلزام إسرائيل بالتخلى عن الضفة الغربية يوماً من الأيام وهذا كما يقول كوانت ما يميزه عن رئيس الوزراء الحالى اريل شارون يقول كوانت « يعتبر بيجين عملياً حيال قضايا سيناء وحتى بخصوص التخلى عن المستوطنات والحديث بتعقل عن الترتيبات الأمنية ، ولكننا إذا حاولنا فعل ذلك ، فإن بيجين لن يوافق أبداً على هذا . لن يستخدم بيجين مسمى « الضفة الغربية » ، لن يسمح بطرح قضية القدس للتفاوض عليها ؛ لقد كان حقاً صلفاً حيال تلك الأمور » .

ففى خضم المفاوضات قال بيجين ذات مرت « لن أبقى رئيساً لوزراء إسرائيل إلى الأبد وقد يحمل خليفتى فى المنصب رؤية مختلفة عن رؤيتى للموقف ولكننى لن أصبح أبدا رئيس وزراء إسرائيل الذى يتخلى عن يهودا والسامرة «الضفة الغربية» وهذا ما دفع الأمريكيين أن يبذلوا قصارى جهدهم فى إبقاء مساحة صغيرةً للمرونة والتحاور ولكن لم يكن بيجين ليفعلها « لقد كان مساوماً شرساً ولكنه قد يقدم بعض التنازلات عند الضرورة » .

وعلى الجانب الآخر نجد شارون أكثر مرونة - من وجهة نظر كوانت - فهو على عكس مناحم بيجين لا يملك الاعتقاد الايديولوجى الراسخ بأن كل شبر مما تطلق عليه إسرائيل يهودا والسامرة يجب أن يظل تحت السيطرة الإسرائيلية . فشارون كما يقول كوانت لديه خطة أمنية محكمة كما أنه يعرف جيداً المستوطنات والمناطق الاستراتيجية التى يجب أن تحتفظ بها إسرائيل ولا تساوم عليها أبداً . « لن يظهر شارون أية مرونة تذكر فى قضايا تتعلق بالقدس أو بإزالة المستوطنات أو بالعودة إلى حدود ١٩٦٧ مع التعديلات الطفيفة عليها ، فهذه هى القضايا التى أعتقد أن شارون لن يناقشها على مائدة المفاوضات » .

إن تقدير معظم المراقبين يقول إن شارون سوف يتجنب المواجهة أو الحديث بشأن تلك القضايا فى الوقت الحالى عن طريق تأخيرهم حتى المرحلة الأخيرة من المفاوضات . يقول كوانت « كلما يقترب الفلسطينيون من قضايا حقوق اللاجئين ،

الحدود النهائية ، القدس أو إزالة المستوطنات ، سيظهر شارون حينها عناده وعزمه على ألا يتزحزح بعيداً عن مواقفه الثابتة حيال تلك القضايا» ولكن مع ذلك تبقى هناك مساحة من المرونة ، فويليام كوانت يؤمن بأنه فى بعض الأحيان قد تقلب الدبلوماسية الأمور رأساً على عقب وأنه وسط هذا الشك قد تفتح الأبواب التى كانت بالأمس مغلقة ».

وقد ينطبق هذا الكلام على الموقف الحالى للصراع حيث إن ما يريده الفلسطينيون هو ألا يظهروا كعقبة فى طريق تحقيق السلام. كما أن ارييل شارون مهتم جداً بألا يلومه أحد يوماً ما على إعاقة المبادرة الأمريكية التى ترمى إلى أهداف استراتيجية تفوق بكثير السلام الفلسطينى – الإسرائيلى يقول كوانت « أعتقد أنه بالنسبة لبوش فإنها محاولة من جانبه ليؤكد للمشككين فى العالم العربى أن الولايات المتحدة ليست متحيزة إلى جانب إسرائيل كليا «مضيفاً» بأنه فى الواقع لا يثق فى أن هذه الإدارة قد تتدخل فى الصراع أكثر من هذا فهى تكتفى بالبقاء رمزياً فيه » .

ففى مقابل أربعة عشر يوماً من المفاوضات قضاها الرئيس الأمريكى السابق كارتر فى كامب ديفيد منذ خمس وعشرين سنة، مكث بوش يوماً واحداً فقط فى قمة العقبة وهذا طبقاً لما يقوله كوانت فرقاً جوهرياً بينهما . يقول كوانت « لقد كان كلينتون وبالرغم من قلة خبرته قادراً على إدارة المفاوضات بالإضافة إلى أنه استثمر جزءًا ليس بالقليل من رصيده الشخصى

والسياسى فى سبيل تطوير العلاقات مع كل من ياسر عرفات وايهود باراك ومن قبله إسحاق رابين » ويكمل « كان عليماً بالقضايا أكثر بكثير من بوش وكان أيضاً لديه قدر من المعقولية ولكنه فشل فى النهاية » .

يدخل بوش أيضاً المفاوضات ووراءه دعم سياسى ضخم فى الولايات المتحدة ولكنه لم يختبر بعد فى تلك المواقف بالإضافة إلى أنه مقبل على فرصة لإعادة انتخابه فى العام المقبل الامر الذى يجعل موقفه شائكاً ودقيقاً ، فعندما عقد كلينتون قمته فى كامب ديفيد لم يكن عليه أن يقلق بشأن إعادة انتخابه فى عام ٢٠٠٠ لذلك ، فإن القوى المحركة لكل من بوش وكلينتون تختلف اختلافاً جذرياً عن بعضها البعض . ويقول كوانت « لم يكن كارتر بطبيعته بالشخص ذى العقلية السياسية ، فذهابه إلى القمة فى العام الثانى من رئاسته يعنى أنه لم يكن يهتم كثيراً بتأثير ذلك على فرصه فى إعادة انتخابه مرة أخرى كرئيس للولايات المتحدة الأمريكية » .

وبجانب تلك الاعتبارات الداخلية فلطالما كان هناك اعتقاد بأن المفاوضات لا تكون أبداً مباشرة وواضحة ودائماً ما تصبح غريبة بعض الشيء .. يصف كوانت جو تلك الاجتماعات بأنك تجد فيه الأطراف لا تود الحديث مع بعضها البعض بقدر ما تود الحديث مع الولايات المتحدة . فعندما جلس السادات مع كارتر فى كامب ديفيد قام بإعطائه عرضاً مصرياً رسمياً . وفى الوقت ذاته

وحسب ما يقوله كوانت ، فإن السادات أعطى كارتر كل التنازلات التى كان مستعداً أن يقدمها وقال له «والآن قم أنت بالتفاوض ، أنت تعلم موقفى جيداً ولكن عليك الحصول على شىء ما فى مقابل التنازلات التى أنا على أتم استعداد لتقديمها ».

وانتهى الأمر بقيام الأمريكيين بمعظم عمليات التفاوض وقد أدركوا أن أنور السادات لا يمكنه تغيير موقفه حيال نقطة أو نقطتين . وهكذا لا يصبح السؤال الآن ببساطة هو عما إذا كان بوش يريد الانخراط بقوة فى المفاوضات وإنما عن كيفية تفاديه لعقبة محتملة فى الطريق بالإضافة إلى عواقبها وتبعاتها . يقول كوانت «على الزعماء أن ينظروا للمفاوضات على أنها صفقة وأن كل تنازل يقدمونه فيها سيحصلون على شىء مقابله وإلا فسياسياً تصبح المفاوضات غير مجدية » ويضيف قائلا : « وفى هذه المنطقة يمكن أن تصبح الولايات المتحدة مفيدة عندما تقول إنها ستتحمل اللوم على وضع تلك الصفقة برمتها وهذا هو الدور الذى لطالما كرهت أن تلعبه بالرغم من كونه دور فائق الأهمية » .

يجب على الولايات المتحدة خلق موقف يرضى جميع الأطراف على طاولة المفاوضات . عليها أن تقدم تسويات مضنية كما أن عليها كما يقول كوانت « أن تلعب دوراً أكبر فى تقديم حلول لقضايا جوهرية ولا تكتفى بمجرد جمع الطرفين فى مكان واحد».

يقول ويليام كوانت وهو يطبق هذا الكلام على المفاوضات فى كامب ديفيد « لقد جاء إلينا موشى ديان ذات مرة وقال « إننا

مستعدون لتقديم التنازلات للمصريين ولكننا ولأسباب سياسية لن يكون بمقدورنا عرض ما يمكننا التنازل عنه على المصريين، فقط لن يكون هذا ممكنا أما لو قمتم أنتم أيها الأمريكيون بهذا العرض وأجبرتمونا على قبوله ففى هذه الحالة ومن منظور سياسى بحت سيتفهم شعبنا لماذا اضطررنا للموافقة على ما تقولونه » .

وبتنحية الولايات المتحدة جانباً، فإن على الفلسطينيين والإسرائيليين كما يقول كوانت أن يرتقوا إلى درجة محددة من اللياقة فى التعامل مع القضايا . فكل طرف عليه أن يبدأ ويقول علانية ما يتلاءم مع فكرة المرحلة الجديدة التى ستبدأ ، بمعنى الحديث عن العلاقة السلمية التى يأمل كل طرف فى أن يراها تتبلور وتتجسد .

ويكمل كوانت « لا تستطيع تصوير الطرف الآخر على أنه الشيطان بينما أنت بالفعل تسعى لصنع سلام معه » هذا بالإضافة إلى أن المفاوضات الجدية لا بد لها وأن تتم خارج النطاق العلنى ، أن تبدأ عبر قنوات خاصة وتبقى سراً لفترة من الوقت « إن تلك التسويات التى يجب وضعها فى الاعتبار تعتبر حساسة للغاية وفى حاجة ماسة إلى الحصول على طريق للتفاوض بدون التسريب الدائم لفحوى تلك المفاوضات بطريقة تضع الطرف الآخر فى موقف حرج للغاية » .

إن لقاء العقبة الذي شارك فيه بوش مع شارون ورئيس الوزراء الفلسطينى السابق أبو مازن ، خطوة على الطريق

الصحيح نحو تحقيق اتفاق يضع حداً لصراع مرير ومحير نحو السلام ، لقد كان بالفعل بمثابة يوم تقديم فاتورة الحساب بالنسبة لجورج دبليو بوش وتبقى كل العيون مترقبة لترى ما إذا كان الرئيس الأمريكى سوف يستطيع تسديد تلك الفاتور أم لا . خاصة بعد استقالة أبو مازن وإضافة تعقيدات أخرى لرؤية بوش حول كيفية تحقيق السلام فى الشرق الأوسط بطريقة ربما تختلف كثيراً عن مفاهيم وأساليب داهية السياسة الأمريكية هنرى كيسنجر .

رقم الإيداع
٢٠٠٣/١٥١٣٨
الترقيم الدولى
977 - 08 - 1122 - X